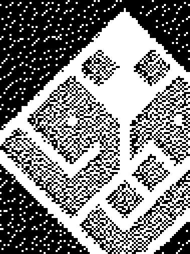
المجلس الأعلى للثقافة

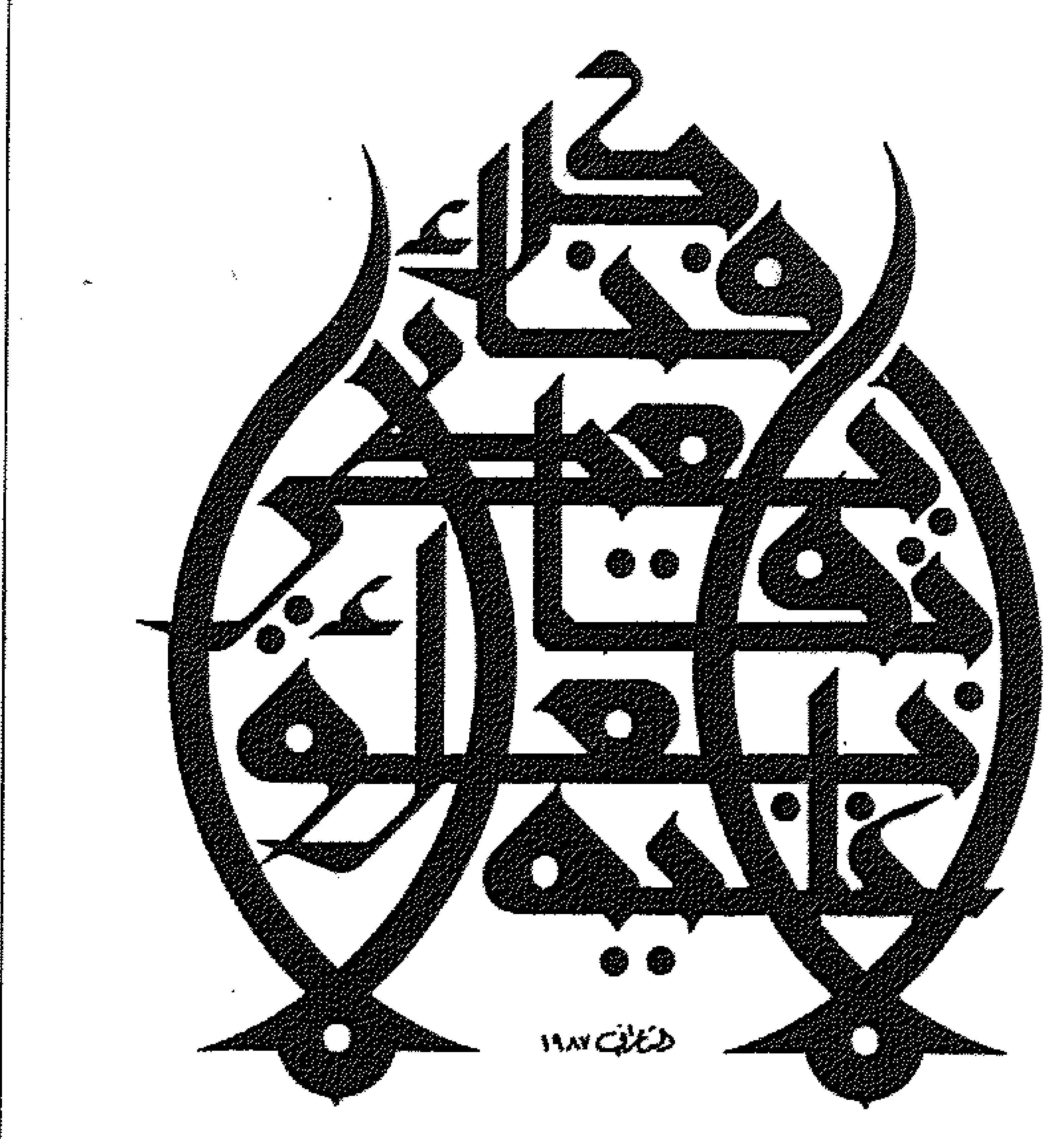


المشروع القومي للترجمة









ترجمة : محمد بنيس

103

المشروع القومى للترجمة

قبر ابن عربي

يليه

آياء



١٩٩٩

العنوان الأصلي للديوانين

Tombeau d'Ibn Arabi
***Sillages*, 1987**
***2ème édition Fata Morgana*, 1995**

Les 99 stations de Yale
***Fata Morgana*, 1995**

عبد الوهاب المؤدب

قبر ابن عربي

يليه

آيـــــاء

شعر

ترجمة محمد بنيـــس

قبر ابن عربي

عشق يخاطر بالمتاهات

تسميةُ ديوان عبد الوهاب المؤدب باسم قبر ابن عربي يعود إلى تقليد أروبي منتشر في أعمال شعراء منذ القرن السابع عشر. وقد أصبحت هذه التسميةُ، ابتداء من بودلير وملارمي، تكتسب دلالةً تتجاوز غرض الرثاء. إنها تدل، قبل كل شيء، على تقاطعات شعرية بين تجارب ذات تجاوبات جمالية - فكرية. وهذا التقليد مستمر حتى اليوم. ولربما كان «قبرُ أبُولينير»، للشاعر الأميريكي ألن غينزبيرغ، علامةً على هذه الاستمرارية في التجاوبات.

علينا، إذن، أن نتخلص من المقابلةِ بين قبور الشعراء وغرض الرثاء. بذلك يمكننا أن ننفتحَ على كتابات خصت الشعراءَ الأموات بقبور هي الذهابُ إلى أبعد المناطق في الكتابة. وعبد الوهاب المؤدب يختار الطريقةَ ذاتها وهو يستدعي ابن عربي. كتابته وحدها تدلُّنا على خصيصةِ التّقاطُعات. في الكتابة نكون في حضرة ترجمان الأشواق على منوال لم يكن ليخطر على بال ابن عربي، الذي يذكر في مقدمة ديوانه أنه. لما نزل مكة سنة خمسمائة وثمان وتسعين، التقى الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني، وكان لهذا الشيخ «بنتٌ عذراء، طُفَيْلة هيفَاء، تقيّدُ النظرَ، وتزيّن المَحاضِر والمُحاضِر، وتحيّر المنَاظِر، تُسمَّى

بالنِّظام وتلقّب بعين الشمس والبهَا». عابدةٌ عالمةٌ سايحةٌ زاهدة. في هذه البيتِ كتبَ ابنُ عربي غزلاً أوْدعَه الديوان.

بين ابن عربي وعبد الوهاب المؤدب ثمانية قرون. كما أن بينهما فارقَ اللغة. شهادةٌ على تبدُّل الزمن (التاريخي والثقافي) وعلى تبدُّل العاشق والعَشِيقَة. لذلك فإن قبر ابن عربي إعادةُ كتابةِ حديثة لتجربة العشق، في زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون، عبر تجربة شعرية تنفذُ مباشرةً إلى الزمن الشعري، الذي لا يتوقف عند الزمن التقني، التاريخي. ما يميز **ترجمان الأشواق** هو استدعاؤه فضاءَ الصحراء، كما هي مكتوبة في القصيدة الجاهلية. عودةٌ لا تعبأ قليلاً أو كثيراً بمواقف الشعراء المتأخرين، المحدثين، الذين انتقلوا بشعرهم من بادية الصحراء إلى حضَر المدينة. وعبد الوهاب المؤدب يستحضر الفضاءَ ذاته في ديوانه. فهو فضاءُ الأبديّ وفضاءُ اللانهائيّ، كلٌّ منهما يأخذ بيد غيره نحو توالُد الدلالات من رحِم التجربة الكتابية، كتجربة للسفر في اللامُسمَّى، على غرار أعْرَقِ الكتابات.

يبدأ قبر ابن عربي بكلمة «أطْلال». وهي العلامة الأولى على طريق إعادة الكتابة كما على طريق القراءة. وعبر إحدى وستين مُقطَّعة يسترسل الديوان في نفَسٍ إنشاديٍّ، متوقد، متوتّر حيناً، متموِّج حيناً آخر، دون أن يتخلى التمازجُ بين حالات العشق عن التوقف في مربط معلوم. ونحن من مربط إلى آخر نستحثُّ النفَس لنتْبع العَابِرِ، الرحّال، من صحراء إلى

صحراء، مفتونين بالشهوة والمكابدة. أثناء ذلك تبدو سَماءُ الكتابة أعْلَى السّماوات. طبقاتٌ من الحساسية تتداخل وتختلط. والنشيدُ ما يبْقَى لنا ونحن نغيِّر المواقعَ تائهين. كلُّ المقطَّعات تتوالى على أثر اللاَّنهائي في العبارة، وهي تُلاحق صرامة ما يلزَم من الكشف والانكشاف. حالة عشقيّةٌ بامتياز.

لم يهدف عبد الوهاب المؤدب، بذلك، إلى إحْياء سُنَّة المعارضة. إنه يخطف الأثر ليُلقِيَ به بعيداً، في جهة مجهولة من الذات ومن الكتابة. في المجهول، في دروب مُبهمة لا تُفصح دائماً عن نهاية للْجمَال الساطع. تجربة الداخل تتوازَى مع تجربة الخارج. في التمازج بينهما، في الانبثاقات، في الحُمَّى، تظل الحبيبةُ لصيقةً بقلب متولِّهٍ، لا شرق لَهُ ولا غرب. جمرةُ العاشقين تمتلكُنا مثلما تمتلكُ فضاءَ الديوان. حرارةُ الرِّيح أو احتراقُ الأحْشاء شيءٌ مما يجعلنا مُزيَّنين بالحروف اللاّنهائية للكتابة، حتى لا قدرةَ لنا على ٱلتنفُّس أو مقاومةِ ما يُمْحى من علامات الطريق، ونحن إلى الهَلاك سائرُون، ننزل المنحدرات، فقراءَ، مجرّدِينَ من الثياب.

بِفِعْل القناديل الموزّعة على المُقطَّعات، يصبح قبر ابن عربي مشروعَ كتابة تخترق اللغة لتدل على اللاّمُسمَّى في الكتابة. فعلُ الاختراق هو فعْلُ القبر. أعني اختراق الحدود التي يُحتَمل أن يُحيلنا عليها ترجمان الأشواق. فالأمر، هنا، لا ينحصر في استدعاء الصحراء أو البهية النِّظام

ولا حتّى المعرفة الإشراقية لمحيي الدين ابن عربي.

كتابة القبر تتمُّ، هنا، بالفرنسية. وإذا كان الأثرُ الأولُ مكتوباً بالعربية فإن الفرنسية تنتقل من وضعية التعبير إلى وضعية الكتابة. تقسيمُ الجُمْلة يخضع للنّفَس أوّلاً. وهو نفَسٌ متشكِّلٌ من استعمالٍ للفاصلة استعمالاً لا وجودَ لهُ خارج هذا العمل. ذلك هو الإمضاءُ الشخصي الذي لا يفارقها. يدْمغُها. ويحرّرهـا من الشّبِيه. وللكتابة تركيبُها الـذي يبتعد عن أن يكون نحويـاً. مسـارُ الكتابـة وحْدَه يـرصُد لهـا التركيبَ المفـاجئ، المتقطِّع، الهاذِي. إنهـا شعرية المحْجُوب الـذي يضاعِفُ اللامُسمَّى، ويحـولّه إلى سرٍّ عليه تقوم تجربةُ الكتابة. من العربية إلى الفرنسية، ومن عمل شعري يلتزم معاييرَ القصيدةِ العربيّة القـديمةِ إلي عمَل يبحثُ عن حداثةِ كتابةٍ في لغة تطْلُب من كاتبهـا الخضوعَ إلى القواعد الدّيكَـارتيّة. في الانتقال يكفُّ العمَلُ الشعـريُّ عن استيحاء الأثـرِ الأوّل لكي يُصبح بـدوْرِه أثراً مُسْتقـلاً بنفسه، بين لُغتين، بين كتابتيْن، وبين تجربتين.

ربما كـان انتفاءُ الحدود، في هذا الـديوان، هو ما استحـوذَ عليَّ وأنا أقـرأُه ثم وأنا مُقبلٌ على تـرجمتـه. لم أكن أعرف، بـالضبط، أيْن تنتهي العربيّـةُ وأين تبدأ الفـرنسية. سِمَـةٌ تخص الأعمال الشعـرية التي جـرّبتِ اختراقَ الحدود، مُنقادةً بالعطَش الأصليِّ نحـو اللانهائي في الكتابة. وقد تطلّب النقلُ إلى العربية حـواراً مع الديوان ومع مؤلفه (الذي قـام بمراجعة التـرجمة)، لأن التـرجمةَ في هـذه الحـالة هي العـودة واللاعـودة في آن،

بمعنى أن نقْلَ قبر ابن عربي إلى العربية لا يتحقق إلا في كتابة عربية تسعى بدورها لأن تكتسبَ وضعيةَ المضادِّ للحدود. الترجمة، في حالة كهذه، كتابةٌ. كان لابُدَّ من مراعاةِ تاريخيّةِ المُعْجم العربيِّ، كلما كان ذلك مطلوباً من العمل الشعري، وأيضاً من استدراج المعاجِم غير العربية بكل دقّة، حتى يمنح المضادُّ نفسَه ويندمجَ في نسيج المكتُوب، بعنايةٍ صَارِمة. تلك هي الترجمة داخِل الترجمة، حينما يكون الشاعر مُترجِماً.

إن الشاعرَ المترجمَ هو منْ يتّخذ من الترجمة فعلاً كتابياً، لا تنازل فيه عن ممارسة تظل متخفّيةً في كتابتِه على الدوام. وقد عوّدَنا شعراءُ الحداثة في العالم على تحويل الترجمة إلى مُخْتَبر للكتابة. وأعتقد أن قبر ابن عربي في العربية اقترابٌ من عمل شعري لشاعر يكتُب بلسَانيْن، وهي الممارسةُ ذاتُها التي تبنّاها الشاعر العربي الحديث الكاتب بلُغَتِه العربيّة. إنه اقترابٌ يساعدنا في طرح السؤال مُجَدّداً عن الكتابة، اقترابٌ لا يفارق ما أقْدم عليه شعراءُ وكتابٌ عرب قلّةٌ في اقتحام المَابيْن، مكاناً للسّفر بين لُغتيْن، بين مُتخيلَيْن، من أجل رجِّ الحُدود واختراقِهَا. فالكتابةُ لا تؤدِّي إلى مكانٍ بل تُزوِيعُ الأمكنة. وهي، سيدةٌ مترنحةٌ، في اللاشيء الغامض تُقيم.

محمد بنيس

25 مارس، 1999

(1)

أطلالٌ، تـذكَّرْهـا، بِلادٌ لـلإهْمالِ، تُرابٌ، ملْجـأٌ للتّائهين، بالصَّدى يخْتلطُ الصوتُ، انْظُرْ إلَى الإنْسانِ في الكهفِ، هَا هُـوَ الجُلمودُ مـرآةٌ، خَـلاءٌ خلاءٌ، هـذَا انتظِـاريَ حتَّى تَسحَّ الغُيـومُ دُمـوعَها، انتظِـاريَ حتَّى تتكلَّمَ الـزهُـورُ، أُنـادي، لاَ مُجيبَ، تُنصِتُ الحجَــرةُ إلى حُمَّـايَ، كمْ قمــراً في البئـر مُلقًى، كمْ شمْســاً من النِّسيــانِ تخْـرجُ، تلمسُ الشَّجــرةُ السمـاءَ، والشَّـرارةُ تخُطُّ نجْمةً، تلـكَ التماعَـاتٌ مُلبَّـدةٌ في الظُّلماتِ، على أنْفِ جبالِ الجنُوبِ، تلمسُ الـرياحُ الرَّعدَ، في الطريقِ، أَدفـعُ حبَّات مَسْبحَةٍ من الجـواهِرِ، فيمَـا النُّوقُ السوداءُ تَقطعُ الجبـالَ والهضابَ، يغْمرُ الـرمْلُ آثاري، على الكُثبـان، راؤُونَ تـائهُـونَ فِـي ظلِّ الحـدائقِ، قيظُ الصيْفِ، ابتسامةُ النِّساء، الباعثاتِ تقـاليدَ الدُّمَى، فكمْ دروباً مُبْهمةً، أَيَتُّها الذّاكِـرةُ، أَيُّها السِّرُّ، يتبدَّى الضوءُ هارباً، في الدخيلةِ يتعالَى إحْساسٌ قديمٌ، يُفُرِّقُ.

(2)

بِـأَيِّ الكلِمـاتِ تنْطِقُ، أَيَّ أدْغَـالٍ تطـأُ، في الطُّمأْنينـةِ، فِي الهَلاكِ، منَ الحُبِّ مُتولِّهاً، فِي إِثْرِهَا تَجْري.

(3)

انْسحَبتْ إذْ بَـدتْ، حملـتْ عُطـورَهـا وتـوابلَهـا، فِي فجْـر الطواويسِ، انْـسَ الوقْتَ، يعْمي العـرشُ في الرؤْيا، تتـرنَّحُ السَيـدةُ على أرْضٍ من البِلَّوْرِ، تـرفعُ ثوْبهـا، شمسٌ تُهَجِّجُ ألْوانَ النَّهارِ، عبيرُها بالفـرحِ يأتي، كَعْبُها مُفَضَّضٌ، ساقاهَا مُرتَعشَتـانِ، عند كُلِّ خطـوةٍ، تَبعثُ بـالرسَائِلِ إلـى شُعُوبِ العَطَشِ، مطِيَّـةُ الـرَّحَّـالِ، مَسكنُ العـابـرِ، حينمـا تُهْـديكَ الحمِيميَّـةَ، تنفتحُ لِذاكـرتِكَ، وتقْتَلِعُكَ من أُبُوَّةٍ، في لَيْلـةٍ، تَضعُكَ على طريقِ السـرِّ، تُلْغي الطقوسَ المُلْجِمةَ للـرَّغْبةِ، في كُلِّ قصْـرٍ لهـا احْتفـاءٌ، في كُلِّ مَعْبـدٍ، هـيَ مجْـدُ كُلِّ كِتَابٍ، عند ذَهابِها ناديتُ ولا جوابَ، كوْمةً بعدَ كوْمةٍ، جفَّ صبْري، منها احْتفَظْتُ بالجمالِ السّاطعِ في أشدِّ تلاعُباتي، وفي داخِلِي تَنْتشرُ رعْشةُ الملاكْ.

(4)

سلامٌ عليْكَ أيهَا المُحِنُّ، اليتيمُ، الصَّديقُ، المُخْتفِي في غمْرةِ الألَمِ، عُدْ إلى الضوْءِ المُرِنِّ، المُنبثِقِ منَ النّبْعِ، أنْتَ، أيّها المُتوحِّدُ، الذي تُهْدي صوْمكَ، تَوبتَكَ، تمارينَكَ، فُصولكَ، أنْتَ تُغادرُ خَلْوتكَ الآن، تخْرجُ منْ فصلِ الأمطار، فلاَ تتراجَعْ عنْ يوْمِ اللِّقاء، لاَ تطُفْ بالسريرِ المُقبَّبِ مِنْ حيثُ تتدلَّى الستائرُ مرْتخيَّةً، معْبدٌ تُغطِّيهِ نتانةُ الذبيحةِ، على مقْرُبةٍ من البُحيْرةِ التي تعْكسُ زُرقةَ السَّماء، قلبُكَ قنديلٌ يحْترقُ، تَقْذِفُ الجمرةَ بكاملِ يدكَ، حُنجُرتُكَ تُعطي الماءَ إيقاعهُ، منبثِقاً من خارج الصَّخْر، وأنتَ يا حاذِيَ النُّوقِ الوديعةِ، انْكِسِ اللواءَ بالقربِ منَ المِسلَّةِ، هُناكَ، في مُلتقَى الطرقِ، توقَّفْ عندَ منعَرجِ المسارِ، استرحْ ساعةً وسلِّمْ، قبلَ التَّوجُّهِ نحوَ القِباب الحمراءِ، المُترائيةِ من بعيدٍ، عندَ أُفُقِ الحُمَّى، سلامٌ عليْكَ أيّها المُحِنُّ، اليتيمُ، الكئيبُ، إنْ نحْنُ عليْكَ رددْنا السلامَ فلْتكُنْ هِبتُكَ جَمالاً وإنْ نحنُ لمْ نَنْطِقْ، فاتْبعْ طريقَكَ،

اقْطعِ النَهـرَ، لاَ تُكلِّمِ الـرّعيَّــةَ، القبيلـةَ، مُـرَّ بيْنَ الخيـامِ البيضاءِ، التي تنشُـرُ ظِلالَها على الشِّفاهِ المالِحـةِ، ونادِ علَى العشيقاتِ جميعاً، جُوديّةٌ وآيَاءُ، هِنْدٌ وهيرَا، اطْلُبْ منهُنَّ أَنْ يدْلُلْنكَ علَى الطَّريقِ، علَى البيـاضِ السَّاطعِ المتَلأْلِئ، بينَ الذُّرَى.

(5)

اسْتَقْبلِ التي، تنـزلُ، من بينكُـم، أثنـاءَ مـرورهَـا تنشُـرُ تبْـراً يعُمِي، فهْيَ تتوقَّفُ، قبْلَ أنْ تفتحَ الباب المُغلقَ، فيما اللَّيلُ يُرخِي ستارتهُ، تقُولُ لها، مرْحباً بكِ، أيتَّها الأنيقةُ، الغريبةُ، الفـاتنةُ، مُستَمْتِعـاً في اسْمكِ أدخُلُ، في حَـرَمِ رغْبتِكِ أظلُّ أسيراً، أنَـا هدَفُكِ، تُصيبُني نِبالُكِ، بالحَجـرِ الصَّلْدِ أتيَمَّمُ، تَكْشفُ عنْ سـاعـديهَا، يشقُّ الـوميضُ أعْمقَ مـا في اللَّيْلِ، تَقُولُ، مـا الذي يُريـدُ، ألَسْتُ الصُّورةَ، التي لا تَبْـرحُ قلْبهُ، ألَا يكَفيهِ أنْ يتأمَّلني، في كُلِّ مكانٍ، في كُلِّ وقْتْ؟

(6)

فِي وَقْدةِ الـرُّؤْيَا تُنـاديني، مُتَّهمةً إِيَّـايَ، أَيّها المُتسكِّعُ، مِنْ صحراءَ إِلَى صحْـراءَ، إِنِّي ذاهِبٌ مِنَ الأَقْصَى إِلَى الأَقْصَى، فلاَ زمنٌ يلُمْلِمُني، مَا العملُ، بِلاَ التِئام، دُلِّي على الطريقِ، أَنْتِ جـاذِبتي، لاَ تكْثـرِي عليَّ مـنَ المـلامِ، فـالشُّعلُ تبلُغُ الأَعالِي، الدمُوعُ تحفِرُ الخـدَّيْنِ، يُؤَجِّلُ المنْفِيُّ عَودَتهُ، عليْه المشْيُ يصْعُبُ فـي المَتـاهِ، لاَ مَسْكـنٌ يظلُّ مأْهُـولاً، وهْيَ مترنِّحَةٌ فِي اللاشيْءِ الغَامِضْ.

(7)

فِي اللَّيْلِ تَرى بُزوغَ حِـدادٍ، يَسْكُنُ شِغافَ القَلْبِ، قُلتُ لهُمْ كيْفَ العُثُورُ على الـذَّاهِبينَ، كـانَ الجـوابُ، لقـدِ اخْتـاروا الإقـامَـةَ، هُنـاكَ، حيْثُ لاَ نِهـايـةَ، قُلْتُ لِلــريحِ، اذهَبِي والتَحِقي بِهِمْ، إنَّهُمْ يتفيَّــأُون عنـدَ ظِلِّ شَجَــرةٍ، نأتْ عنْ شَرْقِهَا عَنْ غَربِهَا، وابْعَثْ لهُـمْ ذِكْرَى مَنْ لاَ عَزاءَ لهُ، لاَبساً خِرْقَةَ الفِراقْ.

(8)

وَمِنْ كُلِّ جـانبٍ دَفعَتْنِـي السَّيِّداتُ، القَـادِمـاتُ منَ البعيـدِ لِزيارةِ الأَمْكِنةِ، أَحطْنَ بِي، ووقَيْنني مِنَ الشَّمْسِ، فِي الظِّلِّ، قُلْنَ لِي، كُنْ مُهَيَّـــأ، نَعْليْكَ اخْلَعْهُمَــا، تَعلَّمْ كَيْفَ تعيشُ لَحْظةَ انْفِصـالِ نَفَسِكَ عنِ الجَسدِ، كَمْ مِنْ رجـالٍ طَهَّرْنهُمْ، مُشيراتٍ عليْهِمْ بالجَـرْيِ، عَلى حقْلٍ منَ الجَمْرِ، مُحْتضِنينَ أَشـــواكَ الــوادِي، مُتــرنِّحينَ فِي أَوْجِ الشَّمْسِ، عــابِــرينَ تَجَمُّعاتِ الحشراتِ، بِأَسْرابٍ منهَا تُغَطِّي التِّلالَ، أَلاَ تَعْلمُ، أنَّ الجَمالَ يَخْتطِفُ الإنْسانَ، ويقْـذِفُ بهِ إِلَى الزَّوابِعِ، التي تُعَـرِّي، سأَعْثُـر علَيكُمْ فِي السَّـاعَةِ المَـوْعُودةِ، وراءَ الـوَادِي الجهَنّمِيِّ، هُنـاكَ، خَلفَ ضريحٍ، تتحـدَّى قُـبَّـتُهُ السَّـديمَ، هُنـاكَ حيْثُ يسْهَـرُ مَنْ ذاقَ الشطْحَ، علَى مَقْـرُبـةٍ مِنْ نِسـاءٍ يفُحنَ مِسْكـاً وعَنبراً، يُطْلِقْنَ، بـاحْتِشامٍ شُعُـورَهُنَّ، قُماشـاً مَغْمُوقاً، يحْجُبُ الوُجُوهْ.

(9)

وَلَّى شَبَابُهُمْ، آثَارُهُمْ انْـدثَـرتْ، مُقَامهُمْ أَقْفـرَ، لَكِنَّ ولَعَهُمْ يَظَلُّ جَـديـداً علَى الـدَّوَام، تِلـكَ بقَـايـاهُمْ، ذَلِكَ أَسفُهُمْ، وبِذِكْـرهمْ تنْفَطِرُ القُلُـوبُ، صرخْتُ فيهـا وهْيَ تتبخْترُ، أَنْتِ الَتِي جَمالُكِ مَا تَمْلكينَ، انْظُرِي كيْفَ لاَ شيْءَ لَديَّ، وَجْهِي لَطَّخْنهُ بِلطَخـاتِ سَوْداءَ، مِنَ الحُـبِّ لاَ تَيْأَسُوا، أَبـداً، حينَ لنْ يَكونَ بـوُسْعِهِ أَنْ يتنفَّسَ، هَذَا الغَـارِقُ فِي حَرْفِـهِ، الفَانِي فِي نيـرانِ المَنْفَى، أَنْتَ المُـؤَجَّجُ ، كـاللَّهِيبِ، لاَ تَتعجَّلْ، أَجْـسادُنَا ستتعلَّمُ كيفَ تَعْبرُ نِيرانَ الجَمراتِ المُفْتَرِسةْ.

(10)

يَقْطعُ الومِيضُ خَيْطَ الرؤيَا، يعكِسُ الصَّدرُ صَوْتَ الصَّعْقِ، سَحَابَاتٌ تَتُوهُ فَوْقِ البَرَارِي، قَبْلَ أنْ يبُلِّلَ الوابِلُ الأشْجَارَ، بِغزارةٍ ينْهَمِرُ المطرُ، وَيَنحَدِرُ عَلى المُرْتفَعاتِ، تَفُوحُ بِهوائِهَا الأرْضُ، ممْزوجاً بِرحيقِ الزُّهُورِ، والخَشبِ، والأوْراقِ، أثَرٌ مِنْ هـذهِ الطُّيُوبِ الهاربةِ ينْطَبِعُ على الجَسَدِ، واليدُ مَعَ الروحِ تَبْنِي زُجاجِيَاتٍ تَتْركُ الضَّوْءَ يَسقُطُ أَحْمَرَ، كَما تُحيلُ أفَاعِي الصَّحْراءِ السوْداءَ قُرْمُزِيَّةً، مُتحرُكَةً عِندَ أقْدامِ نِساء بَيْضَاواتٍ جالِساتٍ، واضِحاتِ الجبِينِ، جَامِداتِ السُّحْنةِ، عيُونهُنَّ الوَاسِعَاتُ يقِظاتٌ لِلكَشْفِ، كَريماتٌ، حَنُونَاتٌ، مُتَواضِعَاتٌ فِي عظَمتِهِنَّ.

(11)

أَتذَكـرُ، وأنَا طِفلٌ، أنَّ هُناكَ كـانتِ امرأَةٌ، مِنْ نـافِذَتِي، كُلَّ يَوْمٍ، كُنتُ أراهَـا، لَمْ تَكُنْ تُغَادِرُ حدِيقتَهَـا، ولاَ تتوقَّفُ عنِ النَّظَرِ إلَى جَمـالِهَا، هَاذيَـةً، بيْنَ حُقُولِ السّـوْسَنِ والخُزَامَى، مِنْ ذَلكَ، لاَ أتعجَّبُ، فَـالمرْأَةُ التِي كُنتُ أَراهَـا مِرْآةٌ كـانتْ تَحْمِلُ صُورةَ ضَيفَتِي مُسْتَقْبلاً.

(12)

يَـا حَمَامَ جَـزيـرةِ القَمُرِ الشَّـاحِبـةِ، هَديلُكَ يَحْمِلُ الطُّيُـوبَ الاسْتِـوائيَّـةَ، يُطهِّـرُ النُّفوسَ، وَيُضـاعِفُ العَنـاءَ، يـا حَمـامُ هَـديلُكَ يَنْطِقُ دَمْعـاً، نَحيباً، كُـفَّ عَنْ تَرْديـداتِكَ الكئيبـةِ، شَهيقاً مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ حتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَكَمِثْلِ صَدَى تُرْسِلُ لِلحَنينِ زَفيراً، لِلْمُتوحِّدِ شَكْوَى، ونَحْنُ جَنْباً إلَى جَنْبٍ رتَّلْنَـا النَّحيبَ، تَحْتَ شجَرةٍ يـابِسَةٍ، والـرِّيحُ نثرتْ شَكْـوَى أُخْرَى، أيْقَظتْ فينَا الرَّغْبَةَ، علَيْنَا مِنْ وراءِ الجِبالِ يَفِدُ ضَوْءٌ، بـالنَّدَى غَمـرنَا اللَّيْلُ، تَقـاسمْنَـا فَواكِهَنَـا، وَحَوْلِيَ طَـافتْ، معْبُـودةٌ، وثَنِيةٌ، غَنَّتْ، بِصـوْتِ طِفْلَةٍ، مَشْهـداً مِنَ الآلاَمِ، رَفَعَتْ وهْيَ تطُوفُ أحْجاراً مُستقِيمةً ملْساءَ، وَدَعَتْنِي لِتَقْبِيلِهَا، لِلَمْسِهَا، ولِكُلِّ نَـذْرٍ أشهَرتْ إيمَانَهَـا، شَفتانِ على شَفَتَيْنِ، نِيرانُ جَسدِنَـا، نَادتْ علَى الضَّوَارِي، ظبيـةٌ صهْباءُ، عِجْلَةٌ رَقْطَاءُ، حَنَّاءٌ علَى ظَهْرِهَـا، عينَاهَا، مِنَ اللَّيْلِ، اخْتَرَعَتْ فِي قَلْبِ الصَّحْراءِ، مَرْعًى فيهِ تَقْفِـزُ، قَبْلَ أَنْ تَعُودَ، وفِيرةً، إلَى المَدَارِ المُغْلَقِ لِحَديقَتِنَا، تلْكَ كـانتْ ليْلَةَ التَّحَوُّلاتِ، حيثُ

الأَشْكـالُ تتحـرَّكُ وَتتغَيَّـرُ، وَكُنْتُ أحْسَسْتُنِي قَـادِراً عَلَى اسْتِقْبَالِهِنَّ جميعاً، رأيْتُنِي تَـائِهاً فِي بِـلاَدٍ، أتَهَجَّى جميعَ اللُّغَاتِ، أَلمسُ كُلّ الكِتَابَاتِ، أَدخُلُ وأَخْـرُجُ، فِي صُدْفَةِ اللِّقَاءاتِ، مِنْ مَشْهَدٍ إِلَى آخـرَ، مُعْجَباً بِـأَثَـرِ الشُّعُـوبِ، مُسَـافِراً فِي الـزّمَنِ، شَـارِداً، مُتَبَدِّلاً، مُتَغَيِّـراً، فِي مـرآةِ التَّحوُّلاتِ، عندَ مصائِرِ العِشقِ، مُحَرِّكِ العالمْ.

(13)

عُراةً، مُنْطرِحينَ علَى الأرْضِ، مُعْتمينَ وفَارِغينَ، بعْدَ رِحْلةِ الـرُّؤيَـا، عَائدِينَ إلَى العَـالَمِ، حَـاضـراً، دُونَ فِعلٍ، رأيتُ مَوْكِباً يتبدَّلُ، الفـرسَ، بطيئاً، يجْري خلْفَ العُنُقِ المتلاشِي لِلْـوحْشِ، يتقَنَّعُ جَامـوسـاً، ثُمَّ ثـوراً، تُقَاومُ الصـورةُ الاسْمَ، نَعامةٌ كثيفةُ الرِّيشِ، سُلحْفاةٌ بحْـريةٌ تَطيرُ، نَسْرٌ يتَلفُ حَدَبةَ الجَملِ، مُفاجآتٌ بطيئةٌ وزرقَاءُ، تتمـدَّدُ مِدْخنةً، علَى شَاشَةِ عينَيَّ، السَّمـاءُ أرضُ الظِّـلالِ البعيـدَةِ، فِي آخِـرِ الغَسَقِ، تتـأهَّبُ القَافِلـةُ، ثُمَّ عبْر الشُّرْفـةِ تـدخُلُ الصحْراءَ، لحظـةَ النُّجُومِ الأُولَى، بينَ آثَارٍ، تأسِرُهَا مَرايَا البَرْدِ، خلْفَ زُجاجِ النَّافِـذةِ، يترقْـرقُ ضوءٌ شَتْوِيٌّ، أَصْـواتٌ سريعـةُ الانْكِسارِ، زُهورٌ تثقُبُ نسيجَ الضَّجيجِ، حِجابُ الأرقِ علَى المدينةْ.

(14)

كنتُ أَمْشِي في متَاهَةِ الصباحِ ، راعِي الشِّتاءِ يرصدُ طوافَ الذِّئابِ، طائِرٌ أسودُ كانَ يُغَرِّدُ فوقَ السَّبجِ ، أَسْودٌ علَى أَسْودَ، لمْ يفُارقِ اللَّيْلُ النَّهارَ، كنتُ أَخْدَعُ القبْوَ، أرافِقُ المِيتْرُو، الأَسَدُ حارِسُ السَّاحَةِ، علَى أَرْضِهِ يغفُو، والسيَّاراتُ أَراجيحٌ، تَنانينٌ تقَذِفُ النارَ منْ مناخِيرِهَا، كانَ رأْسِي ينْحلُّ فِي ضَجيجِ المُسْتنْقعاتِ، أَعْصابٌ متوثِّبةٌ، مِرْآةُ القلْبِ، قوْسٌ يَتوجَّهُ نحو السَّاعةِ الحائطيَّةِ، عندَ مدْخلِ المحطَّةِ، فِي السَّاحةِ الصغيرةِ ظهرتْ لِيَ الفتاةُ، بِشَالٍ منَ الذَّهبِ، قُفطانُهَا حريرٌ، أُرْجُوانيٌّ، مِنْ أَصْفياءِ العَاشقينَ، شَعْرُهَا المجْدُولُ يضْربُ الوركيْنِ، مُنتصفُ النَّهارِ يدقُّ وكأنَّهُ مُنتَصَفُ اللّيلِ، دعَوتُها لِشُرْبِ نبيذٍ شَماليٍّ خفيفٍ، مرحٍ وحارٍّ، يداهَا طويلَتَانِ كيَدَيْ جِنِّيَةٍ، مُرصَّعتانِ بالخواتِمِ ، تنْعكِسانِ على سُحْنةِ النَّبيذِ، رائحةُ الكِبْريتِ، دعَتْنَا لزيارةِ الغُرفِ الزَّرْقاءِ، فِي قصْرِ التماعَاتِ، رأَيْتُ لطْخةً بيضاءَ، خلفَ حِجَابِ ساطِعِ الفِضَّةِ، حيثُ العينُ، مذاقٌ مُرٌّ،

كـانتْ تَتـدحْـرجُ، ذلِكَ ما أيقَـظَ، أثَرَ الصَّحْـراءِ، مُقْفِـراً، كِيمْياءُ مِنْ غُبـارٍ، على الورَقَةِ الطَّـاهِرةِ، كانتِ القَافِلـةُ تَنْتظِرُ قُدومِـي، لِتعْرِضَ أعاجيـبَ العَالَمِ، مَعَـادِنَ إفْريقْيـا، أقْنِعَةَ الهُنُودِ الحُمْـرِ، تَماثيلَ منَ الصِّينِ، مِسلاَّتٍ عربيـَّةً، طُيُوبَ الجُزُرِ، رَقٌّ تَترِيٌّ، تحْتَ ثِقَلِ السَّعْفاتِ، أفْتحُ عَيْنيَّ، مِنْطادٌ يُحوِّمُ فَـوْقَ المدينـةِ، ظِلالٌ سَـاكِنةٌ، فـوْقَ بياضٍ مَشُـوبٍ، والنَّوَارِسُ، مِنْ أعْلَى مَـوْجاتٍ صَفْراءَ، بعيداً عَنْ حَـوافِّ نَهرٍ رمَادِيةٍّ.

(15)

ارْتَقِ الـدَّرجـاتِ خَطْـوةً خَطْـوةً، مِنَ الأعْلَى، لاَحِظْ خَلْـواتِ الصَّحـراءِ المهْجُـورةَ، أَعْمِدةٌ مِنْ رُخـامٍ، بَعْضُهَـا مُنتصِبٌ، زَخارِفُ المداخلِ مُخَـرَّمَةٌ، هُناكَ ترْعى غِـزْلانٌ، ضامِراتٌ، نحِيفَـاتٌ، حـذِراتٌ، مَـذْعُـوراتٌ، عُـروقٌ تحتَ الجِلْـدِ مُـرْتجِفـاتٌ، ثَوْبٌ مِـنَ العَرَقِ، لَهْـوَ صبـاحُ الحُمَّى، تُبـايع السَّماءَ، فِي وميضِ النَّهارِ، حركـةُ الكواكِبِ تبْدُو لكَ، أَنْتَ حارِسُ حـديقةٍ تتدلَّى خُضْـرةً، تُخاتِلُ تبدُّلَ الفُصُـولِ، تَقْرأُ بالعَيْنِ المُجَرَّدةِ مَا فِي السماواتِ، وتُنْقِذُ الغِزْلانَ، مِنْ دُمُوعِ الجُرْحِ، لاَ تُنْكِرْ كلِمةً، وجَّهَتْهَا غَـزالةٌ إلَى مثِيلاَتها، اللَّيلُ، تقـولُ لهنَّ، نحْنُ وُجُوهٌ مُـحِيتْ لِلشَّمْسِ، بياضُنَـا المُخْتَفِي يُضيءُ، كـالزَّبـدِ، حُبـاحبٌ هَارِبٌ، ذاكَ الـذِي يَنْطَفِئُ علَى ثَـدْيٍ أَبْيَضَ، يكـادُ يكـونُ مَسْـتوراً، تحْتَ ظِـلالِ أَشْجـارٍ، تَرْتعِدُ أَغْصانُهَا، تعْكِسُ أَضْـواءً وظِلالاً، عَلى طبقةِ الحديقةِ المشْرقةِ بابْتِسامَاتِنا وكأنَّهَا ومَضاتٌ ليلِيَّةٌ.

(16)

يومٌ أسودُ، ينقرُ المَطرُ الزُّجَاجَ، إليْكَ تأتِي الملائكةُ البَاكُونَ، مَجْدَ الغيابِ يغنُّونَ، موْجةً بعْدَ مَوجةٍ، إلَى الداخِلِ يقْذِفُ بِيَ الإلْهامُ، فلاَ أستطيعُ ترْديدَ مَا أسْمَعهُ، يتوقَّفُ الصَّوْتُ الغيْرانُ عندَ عتَبةِ الكلامِ، ينفُخُ الملائكةُ في الصُّورِ ويطْردونَ المطرَ، هَا أنْتَ تخترقُ الغُيومَ، كَوْماتِ قُطنٍ، ثُمَّ علَى الشمْسِ تعثُرُ، فوقَ غِطاء معْدنيّ، مُزدَرعٌ قَمرِيٌّ، فِي صُدْفَةِ الضَّغطِ، تتذَبْذبُ مقصُورةُ الطَّيَّارِ، وتُعَدِّلُ رَفلاتِه وقَوادِمهُ، نَفخُ الملائكةِ ينفُذُ من صَلبِ المُحرِّكاتِ، ومنْ منافِذِ الطائِرةِ، يُحدِّقُ فِيَّ أطْفالٌ ملائكةٌ يَمْرحونَ، أقْراطاً شَقْراءَ، تَنهمِرُ دُمُوعُهمْ، والرُّوحُ فيهم قَطراتٌ من الجواهِرِ، روحٌ مُرتجَّةٌ، فِي أيِّ شيْءٍ تتجسْدنُ، لرُبَّما كانتْ تَغْشَى الحَجَرَ، جامِدةً، لا مُسَمَّاةً، أتعَرَّفُ عَليهَا فِي قَلْبِ القَلْبِ، فِي دُموعِ الحبيبةِ، لا يبْقَى غيْرُ الأَسفِ، أسفِهَا غَامِضاً، لَكنِّي مُترقِّباً كُنتُ، كانَ لِقَاؤنَا يُمجِّدُ الفُقْدانَ، والهَمُّ، بيْنَنَا نحْنُ معاً، كانَ يمْشِي، حيناً كانَ رقِيبٌ يظْهَرُ، حيناً

يَختَفِي، بدخيلَتِي كانتْ حُـرْقَة تَلْمعُ، حبَّةُ رمْلٍ تقتُلُ العيْنَ، دَعتْنَا القبيلـةُ إلَى المأْدُبةِ، لكِنَّ الحُرْقَـةَ كانتْ مانِعَـةً، خيَامٌ تَملأُهَـا النِّعْمةُ، والرُّؤْيةُ تُفْقِـدُ الشهِيَّةَ، تُفضِّلُ الغَزالةُ مَـوْتاً، علَى أنْ تَكــونَ في قَبْضَـةِ المَصيــدةِ، كُنتُ أُخْفِي دَمْعتِي، مُسْتقيمـاً بينَ الــرِّجَـالِ كنتُ أَمْشِي، فِي سِــرِّيَ أُنْصِتُ إلَى الـوردةِ الموْدُوعـةِ فِي القَلْبِ، فـوْقَنَا كـانَ الغُرابُ يُحَـوِّمُ، ثُمَّ يَحُطُّ علَى الهوائيةِّ، ناعِقاً، ضارباً بجناحيْهِ، صوتٌ أَسْودُ لَمْ أَسْتطِعْ إلْغَاءهُ، بِسُرْعَـةٍ غَادرْتُ الأَمْكِنَةَ، مُتدَحْرِجـاً عِنْدَ قَدَمِ الشَّمْسِ، علَى إيقــاعِ الحَصَـى، كنتُ أَقُــولُ، أَبــداً، إلَى صَحْراءَ كهـذِهِ، لنْ أعُودَ، وهَـا أنَا عَائِدٌ عَبْـرَ السَّمَاواتِ، لاَ فِراقَ يُوقِفُ الحُبَّ، بلْ يقْتُلُ، تُغَنِّي الملائكةُ، فِي الغيابِ، لا يتكدَّرُ الجَمالُ، حيثُمَا يتجسْدَنُ، يسْتمِرُّ جَمالاً، كما هو، في الفِكْرِ، لاَ مُغَيِّـرَ لهْ.

(17)

يُشِعُّ ضَـوْءُ الشُّروقِ، يبزُغُ النَّهـارُ، إنَّهُ الكشْفُ، غَـربٌ يَظَلُّ مُعْتِماً، بِمُحَاذَاةِ القَمَـرِ، قَرصاً شَاحِبـاً، فِي انسِكابِ اللَّيْلِ، بُخَـارُ الفَجْرِ يتَصـاعـدُ، لَمْعةٌ تُخْفِي عنكَ صُـروحـاً، تُؤبِّـدُ ذِكْـرَى الموْتِ، فَـوقَ رُمُوزٍ كهـذهِ، تَجْـرِي رياحُ الشَّـرقِ، تُوشْوِشُ بـرِسالاتٍ غَريبةٍ، أبعـدَ مِنَ العَذابِ، مِنَ الشَّجَنِ، نُقطـةٌ تبْلُغُ شَطْحـاً يَحْصلُ بَعْـدَ جيشَانِ الـدخيلـةِ، تخْتطِفُ السَّكْرةُ الـرُّوحَ، علَى مرْأَى منَ القَمرِ المُدوَّرِ، مُنْخَـرِماً في نُثـارٍ مِنَ الـدَّمِ، فِي الجِهَـةِ المُقابِلَـةِ تَـرتفع الشمْسُ، هـذا التوافُقُ هَالِكٌ، علَى صَدْرِكَ يخْفِقُ النَّهْدُ، الأنْفَاسُ المُخْتلطَةُ تَهْدأُ، والنَّهارُ يَكْبُرُ، ورياحُ الشرْقِ تُؤَجِّجُ نِيرانَ الأَجْسَادِ، أَوْ تُطْفِئُهَـا، فِي الاتِّحـادِ، تَسْكنُ الحبيبةُ، بينَ قَيْـدِ الحيـاةِ فِي الأَثَـرِ السِّـريِّ وبيْنَ المحْـوِ فِي الآنِ، رَمـادٌ تَرْفعُـهُ الرِّيـاحُ، عواصِفَ عواصِفَ، فَوْقَ فِضَّةِ مياهِ النَّهْرِ.

(18)

تَعْبُرُ ساحةً بيْضويةَّ الشَّكْلِ، مَسرحٌ فِي صَدَفَةٍ، علَى دِمَقْسٍ أَخْضَـرَ انعِكَاسَـاتُ الـذَّهَبِ، تعْثُـرُ الأَجْسادُ علَى طبيعَتِهَـا، حَمَّامٌ مِنَ الطينِ الأَحْمَـرِ، عَلَى حافَّةِ النَّافُـورةِ، يُحْرِقُ الماءُ السَّـاخِنُ، تَـراتيلُ، فِي حـركتِهَـا الأخيـرةِ، تُـوَقِّعُ تبـادُلَ الأكاسيرِ، أَجْسـاداً، ساقِطةً فِي الاسْمِ، مُوتـوا قبْلَ المَوْتِ، لُـوذُوا بِظِلِّ القـاهِرِ الجبَّـارِ، ثُمَّ إلَى الحيـاةِ عـودُوا، وُجُوهـاً أرْجُـوانيةً، فِي الجَسَـدِ، الـدَّمُ والنَّفَسُ دائِرانِ بِسُـرْعةٍ، عنـدَ الفجْرِ، يَخلعُ عليْـهِ الفَتَى خِرْقَةً مِنْ حـريرٍ، مَرْفُولـةً زُمرُّداً، قطيفَـةً كالمسـاءِ، وقْتـاً مِنَ الياقُـوتِ، لَقَـدْ طُوِيَتِ الخيـامُ، استعْـداداً للرَّحيـلِ، سَفرٌ ليْلِيٌّ، تَخُطُّ النُّجُـوم الطـريقَ، فِي فَيْءِ بُقْعَةِ النَّهارِ، فِي إسْـرافِ الحَواسِّ، لا يَسْتطيعُ الحركةَ، مُنْذَهِلاً، جاحِظَ العيْنيْنِ، خارجاً مِنْ ذاتِي، رائياً نفْسِيَ آخَرَ، فِي مَشْهَدِ السَّكينـةِ، لاَ أَحَدَ يَقْدِرُ علَى الاقْتِـرابِ، أَبْعدَ منَ المبْدإِ، الذي يأْمُرُ بِأَنْ أَتمالَكَ، فِي القَلْبِ دُوَارٌ، كَيْفَ قُبالَتِي أَراهَا، عَيْنَـاهَا تُدوِّيانِ بِلَحْنٍ مُتسَلِّطٍ، صَـوْتُ الكواكِبِ يصِمُّ

الأُذُنينِ، أَشْـربُ فيها، مَـا دُمتُ عَطْشـاناً، مَـرْكبٌ مِنْ دونِ مِقْودٍ، تتقـاذَفُهُ الأَمْواجُ، انهَضْ، كُـنْ سَيِّدَ جَسدِكَ، تَـدثَّرْ، كَلِّمْهَا مِنْ وراءِ سِتـارةٍ، لاَ تُلْقِ عيْنَيْكَ فِي عيْنَيْهَا، ادْلِفْ إلَى داخِلِكَ، فِي الفِراقِ، انْتَظِـرْ زِيارةَ الصَّبـاحِيِّينَ، وأَهْلِ القِيامِ فِي اللَّيْلِ، تَمتَّعْ فِي ظِلِّ أَجْنِحتِهِمْ، أَلْوانـاً أَلْفاً، اسْتقْبِلْ رُؤْيَا هَارِبـةً، بَعْدَ بُرْهَـةِ الحُمَّى، تُضيفُ لِلرُّؤْيـةِ رُؤْيةً، لأَجْلِ أَنْ تسْتيقِظَ على نَعيقِ الغِرْبانِ، سماواتٌ حَالِكةٌ وضَالّةٌ، مَرْقُومةٌ بينَ الظُّلُماتِ والسَّمـاواتِ، حشْدٌ مِنْ سَوادٍ يَطيرُ فَـوقَ النُّوقِ البيضاءِ، علَى حافَّةِ الصَّحْـراءِ، فضاءٌ فارِغٌ، أَرْضٌ مُسْتويةٌ، خشِنَةٌ، سَهْبٌ فيهِ تَنْكتِبُ الأَصْواتُ السَّوْداءُ.

(19)

مَحْمُولاتٌ عَلَى مِحَفَّاتٍ، دُمْياتٌ شبيهاتٌ بالنِّساءِ، تَعْلُو الصَّوارِي وتنْخَفِضُ فِي فَجْرٍ، هُوَ امْتِدادُ الصَّحْراءِ، حَقْلٌ مِنْ أحافِيرٍ، تَجْويفاتٌ وأَخَادِيدُ القَمَرِ، قَناديلٌ وأَصْواتٌ، عَهْدٌ يُرَسِّخُ القُلُوبَ، حَرَكَةٌ ضَالَّةٌ، تُهْدِينِي عُنْقُودَ عِنَبٍ أَسْوَدَ، والدُّمُوعُ المَحْبُوسَةُ تُؤَجِّجُ الزَّوْبَعَةَ، فِي الدَّاخِلِ تتغَطَّى الشَّمْسُ، عنِيفَةٌ هِيَ الحُنْجُرَةُ، عاصِمةُ الهِبَةِ، علَى حافَّةِ أَرْضٍ، مَحْروقةٍ، فيها تُواجِهُ الخَطَرَ، أَدَعُ وارِدَاتِي، وفِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَى وَجْهَها، فِي الظُّلُماتِ، فِي الضِّياءِ، فِي الحاجِزِ، فِي الشَّفَافيَةِ، حامِلاً قِنَاعي وَحِجَابِي، ولاَ مانِعاً لِلرُّؤْيَةِ، مِنَ الفِراقِ إِلَى البَدْءِ، مُعَقَّداً أَطُوفُ العالَمَ، طائرُ الفَريسةِ، يَحُومُ فَوْقَ الهَضَبَةِ، ذَلِكَ ما يَمْنحُ شَجرةَ الطِّيبِ جَناحَيْنِ، يَلْسَعُ الصَّمْغُ اللِّثَةَ حتَّى تَدْمَى، حامِلاً قَطيفَتَهُ، فِي اللَّيْلِ الهادِئ، يتأَوَّهُ المُنْفَرِدُ، يُرْخِي الحَصَى السَّاحةَ الشَّاسِعةَ، لِلْخَطواتِ صَريفٌ فِي الليْلِ الغَيْرانِ، يُفْتَقَدُ اللِّسانُ ، أَلِيفُ اللَّيْلِ، شَكْلُكَ يَسيلُ، حِمَماً مُتَوهِّجَةً، تتجَمَّدُ لَحْظَةَ العُبُورِ، مَعْبَدٌ

مُظْلِمٌ، فِيـهِ نَسْمَعُ مُقْتَطفـاتٍ مِنَ الطُّقُـوسِ، علَى مُنْقَلَبِ اللُّغَاتِ، بَعْدَ أرْبعين ليْلَةً، جِـئْ، دُقَّ البابَ، اعْبُر المَجازَ، بيْنَ القُبُـورِ، اعْبُـرْ طريقَ الغُـرْفَـةِ المُسْتَطيلَـةِ، انزلِ الـدُّرَجَ السَّبْعَةَ، سـأَنْتَظِرُكَ فِي أقْصَى الحـديقةِ، فِي الكُـوخِ، علَى مَقْـرُبَةٍ مِـنَ المَنْبَتِ، الزُّجَـاجِيِّ، لاَ تُكَلِّمِ الحَـارِسَ الشَّيْخَ، تَعرَّ، ضَعِ الفُـوطةَ المُزيَّنَـةَ بِحُروفِ أُوْمْ، لاَ تُكَرِّرْ شَيْئـاً مِمَّا حَفِظْتَ، بَلِّلْ شَفَتَيْكَ بـالكلِمـاتِ الجـدِيـدَةِ، اقْـرأْ بِصَـوْتِ الـوَحْـيِ، لاَ تُـأَوِّلِ المعْنَى، ولْيَكُنِ الـوَقْت عَطَشَكَ، اقْطَعْ مَراحلَ الـرَّفْضِ، اقْذِفْ بِصَـرْخَتِكَ عِنْدَ صَدَى الحَيـوانِ، يَا راعِيَ النُّجُومِ، أيُّها النَّديمُ اللَّيْلِيُّ، بيْنَنَا يتكلَّمُ العِشْقُ، يَسِيلُ الخَمْرُ، أَسْهَرُ معَ التي، تـرْقُدُ تحتَ الوميضِ، تُغْلِقُ العيْنَ، وتنامُ مـعَ المَوْتَى، ثُمَّ تبعَثُ أُخْتـاً لِلنَّبيذِ، المُنْعِشِ لِلـرُّوْيَةِ، وَقْتَ اللِّقاء بالشَّمْسِ، والقَمَرُ المُتأخِّرُ، نَبْعٌ لِلْحَواسِّ.

(20)

وَأَنْتَ يَـا تَائِهُ، لاَ تَسْتَعْجِلْ، رَاوِدِ الـوَقْفَةَ، فَـالزَّمَنُ فِي الأَثَـرِ يَتجمَّدُ، قِفِ، انْظُـرْ مِنْ قريبٍ إِلَى تَجاعِيـدِ النُّتواءاتِ، ارْفَعْ أَكْمَـامَكَ، أَنْصِتْ إِلَى الصَّـوْتِ الحادِّ، ادْلُكِ الغـرينَ الـذي يَصْقِلُ الأَجْسادَ، ولأنّي أريـدُ وَضْعَ القَدَمِ، فِي مـا يَرِدُ علَى الفِكْرِ، فـالرَّجُلُ لاَ تَتبعُ، صوتٌ يُـدَوِّي، يَفْسُدُ التَّنْغِيمُ، إِنْ هِيَ لَمْ تُـوحِ بالنَّشيـدِ، فَغَيِّـرِ الاتِّجَاهَ، عَـرِّجْ علَى اليَمينِ، علَى ضِفَافِ الـوادِي، سَتَعْثُرُ فِي الصَّمْتِ، فِـي الحِوَارِ، فِي القَطِيعَـةِ، فِي عَوْدَةِ الصَّمْت، عَلَـى شَغْبٍ، لاَ يَنْتظِرُ شَيْئـاً، مَحْفُـوراً فِي صُلْبِ البؤسِ، هَلْ أَكُـونُ غَريبـاً، بيْنَ السِّلَعِ، ضـائعاً فَـوقَ التُّرابِ الأَحْمَـرِ، مِنْ وادٍ مُرْتَفِعٍ كَهَـذَا، حيْثُ الماءُ يَترقْـرَقُ، بيْنَ الخَمائِلِ الخضْراءِ، عِنْدَ حَـدِّ قُصُورٍ مِنَ الطُّـوبِ، عِنْدَ فَتَحـاتِ النُّسُـورِ، وحِيـداً، فِي بَلَدِ البِغَـالِ، باحِثاً عَنْ مَجْهُولَةٍ، تَتَهَجَّى اسْمِي، علَى عَتَبَةِ الأَسْفَارْ.

(21)

بيـوتٌ فَارِغـاتٌ، نَـوافِذُ مخلُـوعَـاتٌ، رَمادِيُّ السَّمـاءِ، حَيٌّ خَـرِبٌ، يَـوْمُ أَحَـدٍ لاَ نَفْعَ فيـهِ، رؤُوسٌ مُهَـاجِـرَةٌ، بينَ الدَّهَاليـزِمُدَمّراتٌ، والأَبْوابُ مَسْـدُودات، لُغاتُ بابِلَ، تُقَسِّمُ الإِنْسانَ نِصْفَيْنِ، شَبحـاً تحْتَ ظِلِّيَ أَمْشِي، أَتَربَّصُ سَـراباً، بِاتِّجَـاهِ تَواضُعٍ نبيلٍ، أَمُرُّ عبْـرَ حَواجِزِ الجَريمـة، علَى لافِتَةِ المُستَشْفَى، علَى الآجُرِّ الأَحْمَرِ، علَى شِعَـارِ الدَّعْوةِ، علَى ثَوْبٍ مِنْ بُخَـارٍ، لَونُ الأَمراضِ تَقْذِفُهُ المـداخِنُ، غِيابٌ عنِ الذاتِ، فِي الطَّريقِ المُؤَدِّيَةِ إلى حيْثُ الشَّرابُ، ماءُ الحياةِ، الـذي يَـرْتِقُ شُقُـوقَ الشَّفَتيْنِ، بينَ الأَطْفَـالِ الـوَسِخينَ، والحقَائِبِ ذات الورقِ المُقَوَّى، فَوانيسُ مُكَسَّرةٌ، علَى مَسارِ المدينةِ، ريحٌ حارَّةٌ تُشَوِّهُ، شَررُ الرَّمْلِ يقْطَعُ، طاقةُ انْشِطَارٍ، ذَوبـانُ المحطَّـاتِ، سِكَكُ الحـديـدِ، تتَـرَاخَى، مِنْ فَـوقِ الجُسُورِ، قِلاَعٌ عاليَةٌ تَخْسِفُ، هَواءٌ مُتَوهِّجٌ يُحْرِقُ الأَحْشاءَ، يَحْتَلُّ المدينةَ فُقراءُ لا تَعْرِفُ مَنْ هُمْ، رائِحةُ الكِبْريتِ، تأْسِرُ الحُنْجُـرةَ، تَمُـرُّ الـرؤْيَـا عبْـر السَّـدَّادَةِ، عَبْـر ثُقْبِ الإِبْـرةِ،

وَجْهِي، كَبَّةُ نارٍ، تُغَيِّـرُ شَكْلَهَا، سُخْنَةُ أَبْناءِ الجبـالِ، مُلَوَّنَةٌ بريحِ البحْرِ، مِنْ تَحْتِ أيِّ أنقـاضٍ سَتَسْتَرْجِعُ خَيالَها، وفِي أيِّ نِسْيانٍ سَتُكَلِّمُهَـا، مِنْ خَشَبٍ أَوْ مِنْ حَجرٍ، علَـى الطُّرُقِ خارِجَ الأَسْوارِ، نَحْوَ صَحْـراء تَسْتَقْبِلُنِي، علَى إيقاعِ النُّوقِ، تَنَبَحُ الكِلاَبُ فِي الظُّلْمةِ، أَثَرُ الرَّمادِ يُشيرُ إِلَى الحبيبَةِ، علَى جُـدْرانِ اللَّيْلِ، مُتَّكِئَـةً مِنْ غَيْـرِ حِـرَاكٍ، بينَ صُبَّـارٍ، عِنْـدَ الخُـروجِ مِنَ القِيـامـةِ، بِنارِهـا أَتَفَيَّـأُ، وَأُلاطِفُ أشْبـالاً بِهَـا مُرَقَّطةً تُحيطُ.

(22)

أُنْصِتُ إلَى منْ لاَ صــوْتَ لهَـا، بحْثـاً عنِ البقـايَـا، تَمُـرُّ الفُصُـولُ، تنْهـدِمُ المنـازِلُ، ضَـاحِكـاً كُنتُ، قبْلَ أَنْ أَكُـونَ عَبُوساً، يَضيقُ السَّهْلُ الواسِـعُ، بيْنَ الأَعْمِدةِ كَبُرتِ الأَشْياءُ، فِي غَفْلـةٍ عَنِّي، لَمْ أكُنْ حَـارِسَهَـا، كُنتُ سَـأُطَـارِدُهَـا، بينَ إسْرافٍ وبُخْلٍ، بَصفْتُ، جَلسْتُ علَى زَرابِيَ تُخْفِي تَشقُّقَاتِ الأَرْضِ، خَيـالاتُنَـا مَغْمُـورةٌ، فِي المنــازِلِ الفـارِغـةِ، تَفْتَحُ الطَّـواوِيسُ النَّهـارَ، تَطيــرُ الأَجْسَـادُ، معَ الأَرْواحِ جَنْبـاً إلَى جَنْبٍ، بينَ لَمْعـةٍ وَسَحابـةٍ، تَسْتـديرُ القِبَـابُ، عِنْد صُـراخِ العَاشِقينَ، تَزْحفُ الرَّغْبةُ، بينَ القُبورِ البيْضَاء، راياتٌ مُلْقاةٌ، علَى الهَضَبةْ.

(23)

أَرَى قَلْبِي يدُقُّ، فِي قُمْقُمٍ، تَدْمَى وَجْنتايَ، بينَ العالَمِيْن، شجَرةٌ مُنمْنَمَةٌ توقِظُ الظِّلالَ، فِي حِضْنِ فَتاةٍ لَعُوبٍ، معَ البنَاتِ، بلبَاسِهَا الأَبْيضِ تَطوفُ، جَسدِي، فِي كُلِّ مَسَمٍّ مِنَ المَسَامِّ، يَحْفِرُ، أُرَحِّبُ بزِيارَةِ الشَّمْسِ، تَنبتُ في شُرْيانِي حديقَةٌ، ينْمُو الجَمالُ، فِي شَبابٍ مُضاعفٍ، مُكَعَّبٍ، تَنْهضُ الراقِصَةُ، آنَاءَ اللَّيْلِ، وتُهْديني جَسَدَها، الفارِغَ، أَهْصِرُهَا، علَى سَريرِ مَرَضِي، فِي جوْفِ غُرفةٍ، عاليَّةٍ وضيِّقَةٍ، عِنْدَ هَينمةِ خطِّ الطُّيُور، نَمْلٌ، مُغْمداتُ الأَجْنِحةِ، كواسِرُ، إكْليلٌ، تاجٌ، غَشِيَني الدَّاءُ، بِبَياضٍ مَرْمرِيٍّ، إنَّهَا نَدْبَةٌ، جَعلتْ مِنِّي فَزَّاعةً لاَ قُدْرَةَ لهَا علَى التَّمويهِ، أَجُسُّ فَرْجاً مُحْمَرّاً، ذَهبُ عِقْدهَا يلْتفُّ علَى عاتِقِي السَّوْداءِ، هَا نارٌ تُضيءُ، فِي قَعْرِ القَبرِ، وجْهٌ بالزَّبَدِ مدْهونٌ، هواءٌ خانِقٌ، في الصَّمْتِ، أَسْمعُ جلبَةَ الأَجْسادِ، تَظهَرُ الطُّمأْنينةُ، وهْيَ تَشُمُّ دَماً مُتخَثِّراً، يعتَقِلُ دائي، تبْدأُ النَّقاهَةُ، في فَوْضَى اللِّحافِ، هُناكَ، بيتُ الأَسْرارِ، فَوْقَ الرِّمَالِ أَكْتُبُ، عِنْدَ ثَلْمِ

الإحْساسِ، أُمزِّقُ الصُّورةَ المحْمُولة في القلْبِ، أَفْتحُ أَزْرارَ بذلةِ، تشدُّ صَدْرِي، تَضْـرِبُ الشَّمْسُ، حُرَّةَ ومُرغَمةً أَجْوفَ الطينِ، الـرَّخْوِ، كيمياءُ زرقَاءُ تُلوِّنُ أَصْواتِي، أُدَوِّنُ حُروفَ العِشْقِ، أَخْتَـرِعُ لِي كُـرْسِياً، خلْفَ الحِجَابِ، مُخْفِيّاً تلكَ التِي، فِي دائِي تَتُوهُ، بنْتُ ملِكِ سَفَّاحٍ، أَعْطِسُ، والنَّفَسُ يَضْرِبُ العمودَ الفِقَرِيَّ، المُتَّقِدَ نيراناً، نَحْوِيَ تُقْبِلُ، مُتأَكِّدَةً مِنْ جَمالِهَا، بِلوْنِ صَهْبَاء تتَـلأْلأُ برُوحٍ هاربَـةٍ، وأَنَا مُرْتَـوٍ خَمْراً، أُعَرِّيهَا، تَنْطَفِئُ النُّجُومُ، بينَ الجُرْحِ واللَّمْسِ، أَعُودُ إِلَى الدَّاءِ، الذي تُضاعِفُهُ شَفتَاهَا.

(24)

قُماشٌ مَنْ حـريرٍ، هَـدِيرُ البَحـرِ، تِلْكَ السَّرْوَةُ شَمْعـةٌ، فيها يَحتـرِقُ الشّعـرُ، جَملٌ هُـوَ الجبلُ، يفْـرغُ أثقَـالَـهُ، تـرِنُّ الخُطُواتُ علَى البِلاَطِ، وتنقُرُ السَّحَابَ، أدعُوهَا إلَى السَّفرِ، عِنْدَ ظِلِّ تِينَةٍ، قُبالَة البرْزَخِ، حاجِزٌ، علَيْهِ الرُّوحُ تسوخُ، فِي مقَدِّمةِ المَرْفَإِ، فِي انتظَـارِ مَركبٍ، مُنْكَفِئاً وسطَ اللُّـجِّ، عِنْدَ حافَّـةِ العاصِفةِ، يَسْتجْمِعُ البحرُ أمْـواجهُ، تتأَخَّـرُ النُّجُومُ فِي تَثْبيتِ الفَجْرِ، النَّوْرسُ جَزيـرةٌ تتقدَّمُ، والصَّارِي جذْعٌ ينُوحُ، تنْهَضُ العـاشِقـةُ، معَ النَّهـارِ، تَنْظُـرُ عبرَ نـافِـذَةِ المـرْكَبِ، تَغْتَسِلُ فى الزَّبَدِ، وتتلحَّفُ بزُرْقَةِ سماءٍ تُضيءُ بِبيَاضِهَا.

(25)

النَّاجُـونَ مِنْ ليْلِ السُّهَادِ، يَجْمعُونَ الحصَى والجَواهِـرَ، عِنْدَ بُـزُوغِ الفَجْـرِ، تَطيـرُ رايـةُ اللَّيْلِ، يغَـادِرُ الشَّعْبُ الأخْفَشُ النَّهارَ، هُوَ الصَّباحُ نَسْرٌ مُزَيَّنٌ مزينٌ بالحُروفِ، أشْخاصٌ فُصَحاءُ، كُتَّـابُ الرَّغْبَـةِ، يَحْمِلُ الغرِيـبُ علامـةَ السَّمَكةِ، فِي ثَنيَّـاتِ الحُرْقَةِ، هُنـاكَ فَوْقُ، ينْتظِرُ المَوْتَ، فِي مَنْظَـرٍ مُقْفِرٍ، يَسيلُ الماءُ، فِي مَجْـرَى مِنَ السَّكاكينِ، تَهْجُمُ الرَّائِحَةُ النَّتْنَةُ على زائِرٍ، يتـرَدَّدُ علَى اللَّيلِ البهيمِ ، السَّـاهِـدونَ ينْشُـرونَ مِسْكَ الصَّبــاحِ ، مَخْمُــورينَ، تلْتــوِي الغُصُــونُ تحْتَ أنْفَــاسِ السَّـاهِرينَ، ملْعُـونينَ، طـائِشينَ، مُحِبِّينَ بلاَ مَحْبـوبٍ، فِي الصرْخَةِ غَارِقينْ.

(26)

علَى الآثَـارِ المنْسيَّـةِ، فِي الأَمْكِنـةِ اللامُسمَّـاةِ، أَرَى جَـوْقَـةَ النَّـادِبـات البَـاكيَاتِ، علَى الضِّفَـافِ الجَنُـوبيَّـةِ، أَنْظُـرُ إلَى المَنازِلِ الدَّارِساتِ، فِي الصّباحِ النَّدِيِّ، أُعْجَبُ بِتِلْكَ، التي تَحْمِلُ قِناعَ الأَلَمِ، يَعْبُر الميّـتُونَ الجُسَيْرَ الأَسْودَ، ويَقْطِفُونَ فَواكِـهَ الصَّمْتِ، يُظَلِّلُ المطرُ الضَّوْءَ الـرَّمادِيَّ، قُلتُ، بَلَى، سـآتِي، بِـلاَ خُـدْعَـةٍ، ولا دِرْعٍ، كـذلِكَ أَجَبْتُ، تِلْكَ التِي كـانتْ تتكَلَّمُ، بِقَلْبٍ مَخْطـوفٍ، مُطارَدٍ، فِي العـراءِ، علَى السَّهْلِ، كانتِ الرياحُ الأربعةُ تحْمِلُ رسائِلَ مُتناقِضَةً، قائِلةً، سأَنْقَسِمُ علَى نَفْسِي، جديدةً سأَكُونُ، كالشَّمْسِ، كُلَّ يَوْمٍ.

(27)

علَى صَفْحَةِ الـذَّبيحةِ، يُغَنِّي المِحْرابُ فِي الأَحْشـاءِ، النَّارُ، المُلْتَهِبَةُ فِـي صَدرِي، غُروبٌ، يُغَـذِّيهِ مِسْكُ اللَّيْـلِ، يُحرِّكُ القَمرُ الغُصْنَ، تُشقِّقُ البـذْرةُ الوجهَ، تنْسَحِقُ الفَاكِهـةُ، تَحْفِرُ النَّجْمةُ القَبْـر، هُوَ الأَلَمُ كِتابٌ ضـاغِطٌ علَى الجُمْجُمةِ، مِنْ باطِنِي تَخْرج الشَّمْسُ، تُحيلُ السمـاءُ الظِّلالَ ورْدِيَّةً، مَشهدٌ فـارِغٌ ، تـاجٌ يتحطَّمُ، تُـوَشْـوِشُ الأَوْثـانُ، علَى أَرْضيـةٍ مِنَ البِلَّوْرِ، تُلامِسُ الريحُ صانِعاً، يجْمع حَفنةً مِنَ الرِّمالِ، يداهُ تتفَتَّانِ، يَدورُ الحجَرُ، فِي القَرْنِ الأَصْفَرِ، وهذهِ الرَّغْبةُ قُبَّةٌ، تنهَـار، في بُخارِ الحُمَّى، ينْـدَى جَسَـدِي، أَثْناءَ العـوْدَةِ مِنَ الصَّحْراءِ، يتشهَّى وَحْدةَ أُخْتيْنِ تَكْسوهُما حَواسِّي بالبياض.

(28)

أَمْضِي في الطـريقِ، المُـؤَدِيَّـةِ إلَى حـديقةِ الخطـايـا، أَلْعبُ بالأسْماء، خلْفَ أَجَمـةِ الحقيقةِ، أَشْربُ حيثُ الفتَى يجْمعُ نـرْدَهُ، أَخْتفِي فِي دغْلٍ، تَـرْتجِفُ الغِـزْلانُ فيـهِ، يحجُبُ الـذِّئْبُ غِنـاءَ الـرَّاعِي، هـواءٌ يُنَفِّضُ جَسـدِي، في النَّهـارِ الأَسْودِ، يمْلأُ السَّيْلُ البُحيْرةَ، الفـاصِلةَ بين البلدَيْنِ، أَشْربُ فِي كأْسٍ سُومَريَّةٍ خَمْراً مُعتَّقـةً، في جُرّةٍ مِنَ الطينِ، مدْفُونةٍ تحتَ التراب، منذُ آلافِ السنينِ، الكأْسُ القـديمةُ، منزوعةٌ من حَجَرِ الجنَّةِ، تعْظُمُ لُهَاثاً، أَشُمُّهُ مُميتاً.

(29)

تِهْتُ، خـاسِـراً، رابحـاً، أضحكُ، أبكِي، وحيـداً، فِي الطَّريقِ، مُنتشِيّـاً، وأنَا أتمزَّقُ، سـاهِراً، أُطلِقُ اللّجـامَ، أثناءَ الرَّاحَةِ، بعْدَ الحركـةِ، فِي الصَّباحِ، أجْتَثُّ الجُذورَ، نازِفاً، عابِراً شُكُوكِي، والعَيْنُ مُفَتَّحةٌ، أضفِرُ الكابُوسَ، مِنْ لُعابِي، أنْثُـرُ الخيْطَ، الـذِي يفْتِقُ جَسـدي، يَمَّحِي شَكْلِي، ورُوحِي مُتخلّصةٌ مِنْ قَفَصِهَـا، تَبْقَى فِي سِجْنِ القَضيـةِ، الذي يبّطِلُ الرُّؤْيَا، سائراً، فَوقَ القُماماتِ، وفِي عَدَمِي أيْضاً تلْمسُنِي.

(30)

تَجْتلِبُ الـرُّؤْيَـا روائحَ بيضـاءَ، تعْكِسُ أشْكـالاً، وتُغَطِّيهَـا بالحلْفـاءِ، عندَ موْقعِ شَجَـرةٍ، مِنْهَا الفـواكِهَ اقْتطَفْتُ، دُونَ أكْلِهَا، أرى شعْرةَ الهِـلالِ الفِضِّيةَ، خَشْيَتِي مِنَ الفَناءِ، أَمُسُّ الحجَـرَ الأَمْلَـسَ، مُضْطَجِعـاً علَى الأَرْضِ، نَجمـةٌ تُحـاورُ النَّهـارَ، ألاَّ تُسْمَلَ عَيْنـايَ، أَنْ أَقْرأَ ظَهْـرَ الأَحْشـاءِ، تَنهشُنِي النِّيرانُ، علَى عَيْنَيَّ يَهْجُمُ الرَّمْلُ، وفِي حُلْقُومِي يتوقَّفُ، لاَ قُـدْرةَ لِي بعْـدُ علَى التَّنفُّسِ، الكـلاَمِ، مُحْتَـرِقـاً، أعُـودُ إِلَى قَصْرِي، وبِي خَبَلٌ، علَى طـريقِ القَمَرِ، أُسَافِـرُ، مِنْ خُطْوةٍ بيْضاءَ، تتضَاءلُ معَهَـا الأَرْضُ، أَخْتنِقُ داخِلَ لأَمَةٍ، مِنْ عهْدٍ آخَرْ.

(31)

غَريبةٌ في وطنِهَا، مَوْشُومةٌ، شديدةُ الحُمْرةِ، لدْغاتُ الأَفْعى، لَسْعاتُ العَقْربِ، خدَّرتْ جسدَهَا، خائنةٌ، مُتنبِّئةٌ، تنكَمِشُ، ثُمَّ تمنحُ نَفْسَهَا، تُرْجعُ البصَرَ إلَى العمْيانِ، وتَجُرُّ أَذْيالَهَا، مُتكبِّرةً، مُتزيِّنةً بالحِلِيِّ، أتأمَّلُهَا، أَنْدفعُ، تَضْحَكُ، إنَّها جَمالُ الوَقْت، عاريَةً، تمنعُ الكلامَ، علَى مُتشرِّفٍ، أَلْمَسهَا، جِلْدُهَا، حَريرٌ كُلُّهُ، هِبَةٌ تأْسِرُ الرُّوحَ، تنطِقُ بالسِّرِّ، سِحْرُها فِي يديْهَا، تتغطَّى، والقَلْبُ مُنفَطِرٌ، تُبَلِّلُ شَفَتيْهَا، تَخْدعُنِي عيناهَا، تُهْدِيانِي عرْشاً علَى الماءِ، جَسدُهَا الخُسُوفُ، رياحُ الشَّرْقِ تَرْفَعُ تنُّورتَها، بيْنَ حالتينِ، بِطريقَةٍ متماثِلةٍ، أَشْهدُ، بالعِبارةِ الضَّيِّقةِ، الهاربةِ، تِلْكَ الغريبةُ تُخْفِي أثَراً، بِجُهْدٍ أَتعرَّفُ علَيْهِ، تُصيبُ الحُمَّى الحجرَ، أَمْشِي فِي الوحَلِ، نحْوَ المجهُولِ، أَرْتمِي، قَدمَايَ حافِيَتَانِ، فِي الوادِي البارِدِ، أُطارِدُهَا، ناحِلَةً، معَ مُتأَخِّرينَ، انْسدَّتْ عليهِمُ الصَّحْراءُ، فِي الظِّلِّ ينبثِقُ صَدْرُها، عيْنَا فَهْدٍ، تُؤَجِّجانِ رغْبتِي، أَطوفُ بمُكَعَّبٍ، مدموغةً بالخاتَمِ القَمرِيِّ،

ألتقيهـا، عَطْشَى، تَمحُـو عـلامـةَ النّهـارِ، وبِي تَقْـذِفُ إلَى اللَّيلِ، تَضحَكُ، صاخِبَةً، تتركُنِي مُنْـذَهِلاً، شبحاً مَذْعُوراً، لاعِباً على شَفَا الهَلاكْ.

(32)

مَمْشُوقةَ القدِّ، تَمْشِي مُتثائِبةً علَى ظِلالٍ راقِصةٍ، تتفَلَّى، مُنزويةً فِي الضَّبابِ، تُراقِبُ سِرْبَ طُيُورٍ مُهَاجِرةٍ، علَى ضِفَّةِ النَّهْرِ، عِنْدَ مُنحَدَرِ جبَلٍ، هُناكَ مدينةٌ دارِسةٌ، مُحاطةٌ بالكُهوفِ، غُرفٌ لِلْجِنِّ، جسدِي حَجَرةٌ بارزَةٌ، أَزُورُ الحُمَّى، لَحْظَةَ السَّكِينَةِ، ذَهَبتْ، دُونَ أنْ أعْلمَ، أرَى فِي البِرْكةِ سريراً، عليْهِ ينعَكِسُ وجْهُهَا، أغْرقُ فِي صُورتِها، بَحْثاً عنْ شَعبِهَا، المنثُورِ أدْراجَ الرياحِ، جَسَدي مُنْشَطِرٌ، مِنَ الأسافِلِ إلَى العلْياءِ، أتْرُكُ نفسِي مُنْقَادةً، بِشَجرِ عُنَّابِ النَّهايَةِ، ألْتقِي الأصْفياءَ، في موْقِفِ نباتٍ مُعَطَّرٍ، بهِ أُداوِي جسدِي، على جِراحِهِمْ يمْشِي الأوْلِياءُ، الألَمُ ثُقْبٌ، يُحيلُ صُوَرِي سَواداً، أخْتنِقُ، وأعْثُر عليْهَا، فِي حَضْرةِ فُسْتانِهَا المُقَوَّرِ، أفْتحُ قَميصَها، أشْربُ مِنْ سُرّتِها، أغْشَى الغيابَ، أبايِعُهَا، أَخْتمُ على مِعْصَمِهَا، بِمَعْدِنٍ لامعٍ ليْلاً، يُحْرِقُ أزْهاراً مِنْ غَيْرِ نرْجِسٍ ولا خُزَامَى، تُهْدِينِيَ خِرْقَةً، عليْهَا علامةُ العقْرَبِ، صُوفٌ خالِصٌ يُكَهْرِبُ جَسَدِي، كثيفاً في

اللَّيْلِ، كـالفحْمِ قابلاً لِلتَّفَتّـتِ، شعْرُها خَلِيَّـةُ النَّحْلِ، يَطِنُّ حولَ ملِكةٍ مأسُورةٍ، عَربيَّةٍ وبيْضاء، تنْطِقُ بالأَعْجَمِيَّةِ، ذاتِ نُكْهـةٍ لاتينِيَّـةٍ، تُخْفِي جَسَـدَهَـا وتُعرّيـه، تُـرْخِي شَعْـرَهَـا، وتَجْمَعُهُ، تأْخُذُ أَشْياءُ النَّهارِ شَكْلَها، غَيْرَ مُكْتَمِلٍ في الطينِ، بينَ يَـديْ نَحّاتٍ، أَلْمسُ حَجَـرةً سَوْداء، ينْفَتِحُ الأثَـرُ، مِثْلَ نـافِـذَةٍ، يلْمعُ اللَّيْلُ، صحْنٌ هُـوَ القَمرُ، أُكسِّـرهُ، وأُخْفِيـهِ، تحْتِ دائرَةِ الحريقْ.

(33)

كُلُّ الأَحْياءِ تتكلَّمُ عنها، أَسْتغيثُ بِهَـا، وأَرْتجِفُ، تَقُولُ انزِلْ ضَيفاً عَلَى مَنْ هُو فخُورٌ بِـاسْتقبالِـكَ، بإحْـلالِكَ المحلَّ العالِـي، أَطِلِ الإقَامةَ عِنْـدَهُ، لا تُسْرِفْ في النَّصِيحـةِ، لمنْ يتَجاهَلُهَا، ظُلْمٌ أَنْ تُعْطِيَ مَنْ لا يأْخُذُ، مليئـةٌ وعذبةٌ، تُوقِظُ حَواسِّي، كلامُهَا طِيبٌ، يُضَـرِّجُ، مَقْعدُهَا، فَوْقَ الذُّرَى، أَوْ فِي الأَسـافِلِ، تَرْفعُنِي، إنْ أَنَـا طَالبْتُهَـا، نَقَّـبَتْ عنِ الكَنْـزِ، النَّائمِ بدخيلتِي، حُضُورُهَا يملأُ الطُّلُولَ، مِثْلَ سَرابٍ، أُحِبُّ أَثَر فِكْـرِهَا، نُـورٌ يُضِيءُ غُرْفَـةَ جسدِي الرَّمـاديَّةَ، مـلامِحُهَا تَزورُ أَشْكالاً أُخْرَى، تَهْرِسُ بـذْرةَ القَلْبِ، رائِحَةٌ مُرَّةٌ، مناظِرُ الطبيعةِ مُتنافِرةٌ، دُخانٌ شَرِسٌ، تتحجَّرُ المدينةُ، مِنَ النَّافِذةِ، أَتفحَّصُ القَرْنَ، القَاتِلَ.

(34)

بِقفـزاتٍ صغيرةٍ، ثُمَّ خطـوةٌ سريعـةٌ، هيَ القـديمةُ، تُـدنِّسُ شبابَها، فِيِ داخِلِهَا تنبثِقُ الشهْوةُ، تُحرقُ الحُجُبَ السَّبعينَ، تسْتنْشِقُ زهْرةَ العُمـرِ، تصعَدُ الدَّرجـاتِ الثلاَثِ، تخْتفِي في السَّمـاواتِ، تنْـزِلُ، بِهَـا أتوَحَّـدُ، جَسـدُهَـا قِنـديلٌ، يُضيءُ الأَرْبعينَ ليْلةْ.

(35)

يَتمـايلُ الهُـدهُـدُ، على شجـرةِ الآخِـرةِ، يتأوَّهُ الصَّـوتُ، ويبكِي، تخْـرجُ الأرواحُ مِنْ أجْسـادِهـا، ينطفِئُ النَّفَسُ، فِي اللذَّةِ أشْـربُ، لوعتِي في الانْكِشافِ، أُغـادِرُ الظلمةَ، حيْثُ كنتُ أسيـراً، أشْهـدُ، أرْكعُ، هـذا الصـوتُ ضجيجٌ، فِي المدينةِ، يرتجُّ الزجاجُ، يحتدِمُ الخريفُ، والنَّارُ تفترسُ.

(36)

أَسْودُ، في عيْنيْنِ سَوْداويْنِ، تُغطِّي السُّحُبُ الذُّرَى، والكَهْفُ تنِّينٌ نــائمٌ، هيَ الثَّــوانِي ظِــلالٌ، نَبضــاتٌ فِـي العيْنيْنِ السَّــوداويْنِ، ابنُ الملْحَمـةِ أنَا، أَنْـزِلُ المُنْحَـدراتِ، بِسُرْعـةِ البرْقِ، أخْتـرِقُ المجالَ المحْـروسَ، أُدَنِّسُ القَرْيـةَ، الحبيبةَ أَخْتطِفُ، أَدخلُ سوادَ، عيْنيْهَا السَّوْداويْن.

(37)

تَمـرُّ ظلالٌ ثـلاثـةٌ، لَهْيَ في الليلِ تخْتطِفُ الأَبصـارَ، تقْتُلُ، تجتـذِبُ كَشُعْلــةٍ وفَـراشـةٍ، تحجُبُ وُجُــوهَهَــا، لِتجَنُّبِ الضَّعيفِ، تكْبحُ سُلْطـانَهَـا، تَـرمِـي بـالقِططِ السَّـوداءِ، إلَى العنكبُـوتِ، بِصَوْتٍ عـالٍ تتكَلمُ، فِي زيارةٍ هيَ، فِي بلَـدٍ، حيثُ تبْنِي مَنْزِلاً، لاسْتقْبَـال التَّائهِينَ، المُمَجِّـدِينَ لِلْجَمالِ، بينَ شَعْبٍ معـزولٍ، لا يَدْخُلـهُ سِـوَى فقيرٍ، ينْشُـرُ سُخْرِيَّـةَ اللَّحْظةْ.

(38)

أُسافِرُ فِي العالَمِ، الذي هو ليْلٌ أَسْودُ، أزُورُ المدُنَ الخمْسِينَ، فِيهَا الوحْدةُ تبْدأُ، أوْ تنْتهِي، مُدُنُ الأَشْباحِ، أَحْياءُ منْهدِمةٌ، ساحاتٌ جديدةٌ، في السَّماواتِ، معَ الملائِكةِ، أتموَّجُ حتَّى يَشْتدَّ اللَّمعانُ، يُصيبُنِي الدُّوارُ، في فَجْوةِ الهواءِ، الحُمَّى آلةٌ، لا تتوقَّفُ، فِي اللَّيْلةِ الظَّلماءِ، أمْشِي خاضِعاً لِسُلْطانِ نَفْسٍ فارِغَةٍ، فِي الظُّلماتِ تَرى ولا تُفَكِّرُ.

(39)

تَفْتحُ لِي عيْناً، أُذُناً، تَمسُّ المِنْخريْنِ، تُغوصُ بِي في الماء،
عندَ ظِلِّ الخَيْمةِ، تَقُولُ، لاَ تَكُنْ مَغْلُولاً، إِلَى وَجْهِيَ انْظُرْ،
إِنَّنِي فِي حَيْرتِكَ، فلاَ تَقْعُدْ، حيثُ الجَمرةُ تُزْهِرُ، الأَسْماءُ
آثَارٌ لِما نتقَاسَمُهُ، لاَ تَلْتقِطِ العَساليجَ الحَمْراءَ، لاَ تَرْمِ بِهَا،
إِلَى مَوْقِفِ المُقَرَّبينَ، احْمِلْ سَلامَ العَاشِقينَ، المَتولِّهِينَ،
فِي أَقْصَى حُدُودِهِمْ، رهيفِينَ فِي الابْتلاءِ، المانِعِ لهُمْ مِنْ
لَمْسِ الجِرارِ المذهّبةِ، قطيفَاتِ الحرِيرِ، لمْسِ الجَرِيمةِ،
التَّوْبَةِ، علَى طريقِ غابةِ أَحْلامِهِمْ.

(40)

كَمِثْلِ الفَـاتِحينَ، العَاجِزيـنَ عَنِ العوْدَةِ، في بلـدٍ آخَرَ ،أرَى نفسي في كُلِّ شَيْءٍ، هُـوَ القَلْبُ شَـاسِعٌ، كـالبَلَـدِ الثَّـالِثِ، المُمْتَنِعِ ، أنْقَبِضُ، أنبَسِطُ، قَدمٌ في المَوْتِ، وعَوْدةٌ، أقْبَلُ، أرْفُضُ، تُـودعُني علامـاتٍ، أؤَوِلُّهَـا، عِنْدَمَـا الأشْفَارُ تَهْتَـزُّ، عاشِقَـةٌ، لَحْظُها فـاتِكٌ، مَنْفِيَّـةٌ، لِكَلامِهَـا سِرُّ النَّـارِ، فِي الـوحْدَةِ، بَعْـدَ الحاجِـزِ، أسْوارٌ مِنَ الطُّـوبِ، مَقْبَرةٌ لِلْعَـالَمِ القديـمِ ، تُزَخْرِفُهَـا الشَّمْسُ، والعـازِفُ يُغيِّرُ المقامَ، يـرقُصُ المُهَاجِرونَ، طُيُوراً صباحِيَّـةً، في ربيعٍ أعْجَفَ، كَحَشْدٍ مِنَ الحَشراتِ، في لذاذَةِ البلَدِ البعيدْ.

(41)

أَفاعِي الصَّحراءِ البيضاءُ، تلْعبُ في الـزَّوايَا والأَحْجارِ، تتْركُ الآثَارَ، فِي المتاهَةِ، آثارٌ يُدْركُهَا التَّائِهُ وهْوَ سائرٌ في الطريقِ، في ليْلٍ يَمْحُـو أَصـابِـعَ الْـيَدَيْنِ والقَـدمينْ، تَحْشُـدُ النُّجُـومُ لَمعانَهَـا، في مأْوَى الشَّمْسِ، مضيئةِ ظُلُمـاتِ الدَّاخِلِ، مِنْ بينْهِنَّ، أَحْبَبْتُ تِلْـكَ، الجـالِسـةَ علَى العَـرْشِ، كـامِلـةً ومُخْتفِيةً، أَخْترِقُ حُجُباً تُزَيِّنُهَا، عينـايَ تَعْميانِ، لاَ حَبَّةَ تُرْبَةٍ تُكَدِّرُهَـا، تُمزِّقُ العَتَمةَ كمَـا تُمزِّقُ ورقَـةً، تَصْرُخُ فِي اللَّيْلِ، شَعْرُهَا سِتَارةٌ، تَسْقُطُ علَى الجَريمةِ، فى مُنْتَصَفِ النَّهارْ.

(42)

نَؤُومُ الضُّحَى، فِي سرِيرِهَا، تتكَاسَلُ، تُنْصِتُ إِلَى الزَّيتُونَةِ وهْيَ تُغَنِّي، تَحْتفِلُ بالـرَّجُلِ، ضَعْفاً وليناً، لَهَا عُمْرُ القَمرِ، مُمتلِئةٌ كـالقصَبِ، لا تَعْبأُ بـالأَيَّامِ، لا تُقِيمُ في المَقـاصِيرِ، حيثُ الكـائنُ يَكْبُرُ ويتداعَى، إِبْطُهَـا الأَيْمنُ فَجْـرٌ، لامعٌ، عانتُهَا تبْلعُ الشَّمْسَ الدَّامِيَةَ، عاريَــةٌ، أَصابِعُها تُؤَرِّجُ الماءَ، جِلْدُهَا رَعْشةٌ، بالزَّيْتِ تدهَنُ جَسدَهَا، تَمْشي ومِلْحُ البَحْرِ لا يُفارِقُها، عَيْنَاهَا المُبَلَّلتَانِ جـرادٌ قَافِزٌ نَحْوَ الصَّحراءِ، لأَجْلِهَا باسْمٍ بذْخٍ يتحدَّى القَفْرْ.

(43)

فِي الحديقةِ يَهْبِطُ طائرُ اليَمـنِ الأبيضُ، يُوقِظُ طُيوراً أُخْرى، تَسكُنُ صنوبرةً ضَخْمةً، يُغطِّي ظِلُّهـا أَشْجارَ البرْتُقالِ، ترفعُ الأزْهارُ رِمـاحَها بـاتِّجاهِ السَّمـاءِ، يهُزُّ الفَجْـرُ مَعابِـدَ اللَّيْلِ، ويُمزِّقُها، سـاحِباً خَيْطاً أَبيضَ، يَظْهرُ عِنْدَ الأُفـُقِ، مِنهُ جنيَّةٌ تَخْـرجُ، تَشُقّ صَـدرِي، وتَغسِلُ قَلْبِي، سِحْـرٌ آيتُـهُ سَـوْداءُ، سليلةُ اللَّيْلِ، تتـرصَّدُ الطَّـائرَ المُهْتاجَ، أَهْـربُ، معَ انتِصارِ النَّهـارِ، تَضِجُّ الجَمْـرةُ في الكَبِدِ، تُـوقَـدُ النَّـارُ، بَعْدَ مـوْتِ النُّجُومِ، تَصْعدُ الشَّمْسُ إلَى خطِّ الاسْتِواءِ، أُفتِّشُ في الأثرِ، أُنــادِي، لا شَـيْءَ يَصِلُنِي، لاَ أَرَى خلفِي، تُعتِمُ رائِحَــةُ طريقِي، لا أَفُضُّ غِشاءَ قَمرٍ، نَهاراً، يَقُودُ خُطايَ، إلَى حيثُ الطُّرُقُ تتشَعّبُ، فَجأَةً تَحْمِلُ الملائِكـةُ غَيْمةً، تُغْرقُ الأَمْطارُ الوادِي، تَحْمِلُ زادِي، ومتاعِي، راعِي الغَيْمِ يَطْرُدُ العَاصِفَةَ، يَحُطُّ طائِرُ اليَمَنِ الأَبْيضُ، على عُلُـوِّ جبلٍ رأْسُهُ كـالقَرْنَيْنِ، ذِي لـوْنِ الطِّينِ النَّدِيِّ، وهْـوَ يَغُلُّ جِنِّيَّـةً كـانتْ عازِمـةً على تَشْغيلي، عندَ سُقُوطِ اللَّيْلِ.

(44)

مُضْطَدماً بِعابِرٍ، في السَّحابِ أَنَا، ولِي رَأْسٌ مَقْطُوعةٌ، أَتُوهُ بينَ الأَسافلِ والأَعَالِي، أَمْشِي فِي الشَّمْسِ، دونَ أَنْ أَرَى الشَّمسَ، أَتقَدَّمُ بِخُطْوةِ القَطِيعِ، أضعُ بينَ أَيْديهِمْ، رَأْسِي بالعِمامَةِ، يَسِيلُ ضَوئِي، معَ دَمِي، فقِيراً بينَهُمْ، مُجَرَّداً مِنَ الثِّيَابِ، لَمْ يَعُدْ لِي سِوَى نَفَسِ الجَسَدِ، أَنَا مُتَهَيِّئٌ لِلْمَوْتِ، وَاقِفاً، أَمامَ عَرَبِيَّةٍ جَمِيلةٍ، صَوتُهَا العَجَمِيُّ، يُحرِّكُ، نُتُوءاً قَاحِلاً، صَخْراً أَبيضَ ذَا خُرومٍ، كأَنَّهَا مَسْخُ حَيَوانٍ، أَتوقَّفُ، حيثُ أَشْياءُ الأَعْلَى تتجَسْدنُ في حَضْرةٍ هِيَ صُورةٌ غَيْرانَةٌ مِنْ جَهْلِي، تُغَطِّي الوَجْهَ، وتُضيفُ إلَى عِشقِي، أَمُوتُ مَرَّتَيْنِ، إِلَى الآخرينَ، إِلَى نَفْسِي، لكِنْ لا أَكونُ إِلاَّ بِهَا، وَعْدٌ يُوحِّدُنَا، عِنْدَ مغيبِ الشَّمْسِ، يَحْملُ العَدُوُّ لِي مِنْهَا، ضِعفاً شَديدَ الشَّبَهِ، فِي حُمَّايَ أَنَا، أَسْكُنُ أَرْوِقَةَ الغِيابِ، تَهْبِطُ ملائِكَةُ اللَّيْلِ، فِي قَلْبي، وفِي شَرايِينِي تَدُورُ، بإِيقاعٍ بَطِيءٍ لِخَفَقانِ البصِيرةْ.

(45)

لنْ يكـونَ الكائنُ شَيْئـاً، إنْ حُضُورُهُ لمْ يَكُنْ ليتَحَـوَّلَ أَحْيانـاً إلَى سيِّـدةٍ، تَلبِسُ اللَّوْنَ الأَسْـودَ، تَثْقُبُ أَلِفَ الغيـابِ، التي أَتعَرَّفُ عليْهَـا، مُسْرِفَـةً فِي اللُّغَةِ وفى العـالَمِ، حتَّى عِنْـدَمَا كانتْ تُزَيِّنُ الجُرْذانَ، الأَرانِبَ، الأَتَـانْ.

(46)

لنْ أنْسَى يوْمَ، لمْ أسْتطِعْ أنْ أكونَ عِنْدَ عَظِيمةِ الجلالِ، وهْوَ يتقَدَّمُ نَحْوِي، كـانَ يَوْماً، تأمَّلْتُ فيـهِ، الوَاصِلينَ، رُؤْيتُهُمْ، كانتِ العِلاَجَ، تَسـامتْ رُوحِي إلَى رَغْبَتِهِمْ، إقَامَتِي، بينَهُمْ، كانتْ طَويلَةً، مُنْذُ يومَ طارَ العُصْفُورُ فيهِ يميناً، كانتْ بُيوتُهُمْ فِي رَخـاءِ، رَغْمَ السَّنـواتِ العِجَـافِ، طـريقُ الجبَلِ، تَحْتَ أقْدامِهِمُ استَوَى، والصَّحارَى القَاحِلةُ ألْقَتْ فِي آذانِهِمْ أصْداءَ الميـاهِ، هُمُ المُبجَّلُـونَ، الـذينَ قَـرَّبُـونِي، لَمْ يتنَـازَلـوا عَنِ اسْتِضَافةِ مَنْ يُهْدُونَهُمْ قُلُوباً مُنْخَطِفَةً.

(47)

أَتَجرَّعُ الحَنْظَلَ، أُكَسِّرُ سَاقَ نباتِ لَبَنِ السَّوْداءِ، قَلْبِي كَنَسْرٍ مُقَيّدٍ، لا يبْلُغُ مَداهُ، تَريَّثْ، تَقُولُ لي، سَاعتُكَ آتِيَةٌ، سَتلحِقُ بِي، لا تَتَعَجَّلْ، كيْفَ أَنْتظِرُ، قُلتُ لَهَا، فالأسيرُ مُتمرِّدٌ، هُوَ التريُّثُ مَنْفَى، عليَّ أَلاَّ أوقعَ بِنَفْسِي، يتبدَّدُ الدُّخَانُ، تَظهرُ بِلوائِها السِّرِّيّ، بياضُهَا غمامٌ، يُلطِّخُهُ النّرْجِسُ، وهْيَ جالِسةٌ، مُستقيمةٌ، علَى العرْشِ، تدورُ حوْلَ نَفْسِهَا، مَدارُهَا يَخْتَرِقُ العَمَى، الذي سبَقَ الكائِنَ، والوَهْمُ يدُلُّ علَى شكْلٍ، لُعْبةٌ، تَضْهَرُهَا ذِكْرايَ، علَى مَرْأى البَصَرِ، لا تُسمِّيهَا الكَلِمةُ، الفِكْرةُ لا تتصَوَّرُها، تدنو وتنأى، تبْعثُ على غَيْرةٍ، تَجْلِدُ دَمِي، تُوسْوِسُ لِي، هِيَ وهْمٌ وَهْمٌ، أَغْسِلُ عينَيَّ، أُقدِّمُ يدِي، تخترِقُ الستائرُ، إنّي أراهَا، أَلْمسُهَا.

(48)

عُلْبـةٌ مِنَ الشمْعِ ، علَى امْتـدادِ اللَّيْلِ، خـلايـاهَـا حُـروفٌ، تَثْقُبُ الكتابَ، عَسلٌ يتقَطَّرُ منْهـا، وحْيٌ، تتهَجَّاهُ، لَها شفَةٌ سَمْراءُ، والسَّـاقُ مكْتنِزةٌ، عِنْدَ كُلِّ خُطـوةٍ، ترْتعِشُ، غيـابُها يُضرِّجُ الـوجْهَ، وضُوحُ أسْنـانِهَا صَفْحةٌ بيضـاءُ، خفيفةٌ، بينَ الحياةِ والموْتِ، تنفُذُ إلَى مساكِنِ اللَّهْوِ، تطأُ حديقةَ القُلُوبِ المُمْتلِئةِ، تُنصِتُ إلَى أمْـواجِ الزُّهـورِ، أُنادي علَى الـرياحِ ، حامِلةِ الشَّمْسِ، علَى وَجْنـةِ الحبيبِ، مُخْتصَرٌ هُو الجوابُ، كعلاَمةٍ تَمحُـوها الرِّيحُ، ليْلاً، فَوْرَ خَطِّهَـا على الرَّمْلِ البارِدِ لبَياضِ الأَرَقْ.

(49)

أَمـامِيَ القَمـرُ، يَسجُـدُ، غُــرابُ اللَّيْلِ يحُـومُّ، فَـوْقَ طُـرُقِ المَنْفَى، إلَى بِـلادِ الغـرْبِ أَمْشِــي، على كَفَنٍ أبْيضَ، يغُطِّي الأرْضَ، في الـرِّيحِ تجـفُّ صُـورُ البـاطِنِ، أَمْحُـو حُــروفـاً كتبتُهَا، فوقَ دفاترَ مَستُورةٍ، في أقْصَى شِغافِ القلْبْ.

(50)

هُوَ الـوقْتُ ضيقٌ، فارغٌ جسَـدِي، أُسَافِرُ، في ضَـوْءِ القَمرِ، أَحْمِلُ ميثـاقَ الإنْســانِ، لِي مـذاقُ الـدواءِ، المُــرُّ، أَنْتظِـرُ الشِّفَاءَ، أمامَ بابِي تَمُرُّ، مثْلَ هـاربةٍ، إنَّها لَمْعةٌ تَخِزُ، وتُعْلِنُ عنْ سُخْريتِهَا، احْتِقارِهَـا لآلامِي، حِجَابٌ أَرْفَعُهُ، سُمُوّاً إلَى شَفقَةٍ كـانتْ غريبةً عليَّ، أُدَجِّنُ وَحْشـاً، بدخيلَتي، حتَّى لاَ أَضْمحِلّ، قُبالةَ الأَسيرةِ المُنْزويَـةِ، في حُمَّاها البيضاءِ، بنْتِ قِنْديلٍ، يُضيءُ وَجْهُ الضَّيفِ، وهْوَ يـدقُّ البابَ ليْلاً، يُطالِبُ بـالرَّاحَـةِ، إنَّهـا جوْهـرةٌ تنام، في جَـوْفِ صَـدَفَتِها، تنْتظِـر غَطَّاساً، لرُبَّما يُعيدُهَا إلَى الضَّوْء.

(51)

كما لَوْ مِنْ بعيدٍ، سَرابٌ فـي الصَّحْراءِ، شَمساً تباركُ صباحَ بيتٍ كبيرٍ، كـانتْ تظْهَرُ، عاريـةَ الوجْهِ، نـادَيْتُ عليْهَا، مِنْ خلْفِ حِجَـابِ الحُمَّى، عنـدَمـا كنـتُ ضـائِعـاً، في سَهْبٍ عُـدْوانِيّ، سَكْـرانَ، في بَحْـرٍ لاَ سـاحِلَ لـهُ، عنـدَمـا كُنْتُ رجعْتُ، فـارِسـاً بِـوجْـهٍ مُحْتَـرِقٍ، كُنْتُ أَراهَـا، تَمُـرُّ، بيْنَ الأشْفَـارِ، شُعْلَـةٌ كـانتْ تتفَتَّحُ، من بيْنِ فُجَّـةِ الأَسْنـانِ، فِي المُشـاهَدةِ دخلْتُ، كـانتْ تعيشُ في بُسْتانٍ مُنْعـزِلٍ، بِرُفْقَـةِ حمـامةٍ، كـانتْ تطيـرُ، ثُمَّ تعـودُ، لا شريـكَ لَها، مُنْـذُ أَنِ اجْتزتُ البحْـرَ، وأنَا أَسْتـدْعِيها في الفِكْـرِ، وأَحْتكُّ بِوحْدَتِـهَا الخالِصَةْ.

(52)

مِثْلَ أَفعَى، بارزَةٍ مِنْ تحْتِ حِجارةٍ، عابَثَةٍ بِهَا القَدمُ، تلْدَغُ، مَنْ غَيْـرِ انْتظـارٍ، على حيـنِ غَـرَّةٍ، تَـرْتـدِي قِنَـاعَ السُّـرِّ، وتَغْشاكَ بِـودَاعَةٍ، بيْنَ ذِراعَيْهَا، تَنْحَلُّ، وتسْقُطُ مَـريضاً، مِنْ أيِّ ناحيةٍ أَخذَتْكَ، فأَنْتَ الكائِنُ الفَانِي.

(53)

أَسْتـرْجِعُ هُـدوءَ أُولائِكَ المُـرْتقينَ إلَى السَّمـاواتِ، أخْتـرِقُ شَساعَـةَ مَكْرٍ، تَسْتُرُهُ غِبْطـةٌ، نَوافِـذُ مِنْ مِسْكٍ، ومِنْ عنْبَرٍ، تَضَعُ أخْتامَهَا على قُلوبِنَا، تَقْتَرِحُ مواثيقَ مُرْبِكةً، مِنَ الصَّعْبِ تَبْجيلُهَا، رَغْمَ المُتْـعَةِ المُتَساوِيَةِ، مُتْعـةِ ما تقَاسَمْناهُ مفْتـرِقاً فِي حالاتِ السُّمُوْ.

(54)

تَكيفّتُ معَ طقسٍ، ليْسَ طقسِي، فيـهِ أَسْتنْشِقُ هواءَ المحيطِ الرَّطْبِ، فيـهِ بَنَيتُ بيتاً مُربَّعـاً، مِنْ زُجاجٍ، يُطِلُّ على أَرْضٍ من الصَّخْـرِ، مَقطُوعـاً بِـالخيْـطِ الكَهْـرَبـائِيِّ، مَشْـدُوداً بيْنَ عَمُـودَيْنِ مِـنْ خَشبٍ، علَيْـهِ عَلَّقْتُ قَلْبِي، مَنــاراً يَـدُلُّ علَى الطريقِ، لِمَنْ يَـرْحلونَ، ومَنْ يبكُـونَ، فِي مَسْكَني أَسْتريحُ، بَعْدَ سنَواتِ السفَرْ.

(55)

إنّــهَا مُجَسْــدنَةٌ، بيْـنَ جِنْسَيْنِ، حيناً فَتـاةٌ، حينـاً فتًى، كُنّـا الواحِدَ ضِدَّ الآخَـرِ، كالحرْفِ المُضَعَّفِ في اسْمِي، لَمْ نكُنْ معـاً سِـوَى واحــدٍ، نحْنُ الإثْنيْنِ، لَـرُبَّمـا لَـمْ يَكُنْ لَهـا أَنْ تتعَـرَّفَ، عَلَى مَنْ كـانتْ هِيَ، إنْ أَنَـا لَمْ أكُنْ أَلْقَيْتُ، على وَجْهِهَا نفَس كَلِمَتِي.

(56)

جَسدي يُغيِّرُ جِلْدهُ، أَمَامَ مـلاكٍ، يُعبِرُني ضوْءهُ، ويأْخُذُ مَظْهرَ أَسيرٍ، يدُلُّني علَى العُروجِ إِلَى السماءِ، نَمُرُّ علَى دِيارِ الكَوْنِ، حَولَ الشَّمْسِ، مَلِكُ الشَّرقِ، جالِسٌ، قَدماهُ مَطْويتانِ، ثُمَّ إِلَى الأَرْضِ نعُودُ ، لِلْملاكِ قِناعُ الشَّيْخِ ، أَقُودُهُ، عَبْرَ وقْتٍ غائِمٍ ، علَى شاطِئ رمْلٍ أَبْيضَ، بِالحَصَى مُرصَّعٍ ، بالطَّحالِبِ اليابِسةِ، بالقطْرانِ، عِنْدَ اقْترابِنَا منْ خَلْوةٍ، فيهَا القانِتاتُ ينْشِدْنَ، يغيبُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يتْرُكَ أَثَراً، كانَ لهُ أَنْ يُجنِّبَنِي العذابْ.

(57)

حاضِرةٌ حينـاً، حيناً غائبةٌ، مِنْ شَطْحٍ ، ومِـنْ شَوْقٍ لا شِفاءَ لِي، بِها أَلْتقِي، عنْهَـا أَفْترقُ، عنْدمَا أَكُونُ بعيـداً، يكونُ لِي أمَلُ أَنْ أَراهَـا، عنْدمـا أَعْثُرُ عليْهَـا، يُصيبِنُي الدُّوارُ، تتكَـرَّرُ الرُّؤْيَا، كُلَّ مَرَّةٍ، أَكْبرَ، والأَلَـمُ لا يتراجعْ.

(58)

أَمْشِي بيْنَ أَطْلالِ قصْرٍ مُنيفٍ، ذاهِباً إِلَى النَّهْرِ المُترمِّلِ، أمُدُّ خَطّاً من حديدٍ، هلْ مُعَسْكرٌ هُوَ، هلْ حُدودٌ، إِنَّنِي كُتْلَةُ أوارقٍ ميتَّةٍ، يُلَيِّنُهَا المطَرُ، قطَراتُ الماءِ تُثَبِّتُ الغُبارَ، ثُمَّ النَّهارُ يُصْبِحُ وضَّاءً، وأَنَا، أتْرُكُ العينْيْنِ مَفتُوحَتَيْنِ، بعْدَ موْقِفِ المرضْ.

(59)

فِي الحُمَّى الْتقَيْنَـا، فِي الصَّحْـراءِ، يـوْمَ السَّبْت، فِي عِـزِّ السَّكِينَةِ، فِي فراغِ الهضَبةِ الحَمْراءِ، قـريباً مِنْ بِرْكةٍ مملُوءةٍ ماءً، يَعْكِسُ عَلَمـاً وحيـداً، علَى يمينِ الطـريقِ، تقـاسَمْنـا الرَّغْبـةَ، في الظَّهيرةِ، عندَ ظِلِّ خيْمـةٍ، بدَّدْنَا، مـا جمَعْناهُ، في الأَلَمِ، فُتاتاً، فِي الأَحْلامِ، قـادَ الزَّمنُ النَّاطِقُ خُطُواتِي، وخُطُواتِهَا، نحْـوَ موْقِفِ النّارِ، هذَا الذي فَـارقْنَاهُ، شَفَّافيْنِ، مِثْلَ إزاريْنِ أَبْيضيْنِ يرْفَعُهُمَا الهواءُ.

(60)

عَلى مَقرُبـةٍ مِنْ العرْعَرِ كـانتْ تَقُولُ لِي، امْشِ، سَتَصِلُ، لاَ تَتوكَّـلْ على الرُّؤيَـا، إِنَّهَا مُـؤَقَّتةٌ، هِيَ ذي القـاعِدةُ، عِنْـدمَا تتحـرَّكُ الشَّجرةُ، يتحـرَّكُ الظِّلُّ، شَمَمْتُ رائِحَـةَ غَزالٍ كـانَ يلْهثُ ويسيلُ عـرقـاً، عجَّلْتُ في السيْـرِ، حَتَّى أَلْتحِقَ بِلَيْلٍ يُوحِّدُنَا، ويُفـرِّقُنَا، تَـحِـيـتُّـنَـا كـانتِ الوداعَ، أَضاءتْنِي، نارُ سَـيِّدةٍ كانتْ ترْشُدُنِي إلَى قَـمَـرٍ يتكاثَرُ أَزْهَاراً، قبْلَ أنْ ترمِيَ بالحِجَارِ، فِي الحـرمِ، ظهَرتْ لِي، في شكْلِهَا الأَبْهَى، ثُمَّ تولَّتْ، وخنقتْ نيراناً، تفترِسُ أَسَدَ رايتِي، بالحُمّى احْتمَتْ، واكْتسَتْ بِمِزَقِ أَثْـوابِي المحْروقـةِ، رتَقَتْ جناحَهـا المكْسور، اختفَتْ عِنْدَ مضايِقِ صقْرٍ كان يُرِيدُ خَطْفَهَا إِلَى مَمْلَكتِهِ، بيْنَ دراويشَ أكْمامُهُمْ سَوْداءُ تَسْحقُ لاَزَوَرْدَ السَّماءِ.

(61)

عَلَى ضِفَّةِ النهْرِ، تحتَ ظِلاَلِ الصَّفْصافِ، أَسْمعُ اللَّحْنَ مِنْ شَجرةِ المَقْرِ، أَشُمُّ ريحاً تكْنِسُ المَمْشى، المُزْدَحِمَ بالأَشْياءِ الباليَّةِ، أَمُدُّ يدِي، مِنَ الطَّاولةِ إلَى الكِتابِ، أَلْمسُ شجرةَ الضَّوْءِ، بدَمِي أخيطُ قطيفةً سَوْداءَ، تُغَطِّي المُكعَّبَ، أَنْشُر نشيدَ الشِّيحِ علَى رائحَةِ النَّفْط، رِئتايَ قِنْديلانِ، يُشِعَّانِ فِي هَواءِ مَكَّةَ الأَصَمْ.

آيـــــاء

مواقفُ بينَ التّسعةُ والتسعُون

من الهايكو إلى الشطحة

مواقف بيل التسعةُ والتسعون هو العنوان الذي يحملـه هذا الديوان في أصله الفرنسي. وقد اخترتُ له عنوان آيـاء بالعربية، ذلك الاسم الأنثوي الذي ينصت إليه الديوان ويمجـده. لم يكن اختياري لاسم آياء مُمْكناً لو لم أدْخِل تعـديـلاً على ما هـو في الأصل الفـرنسي «آيـا». فالهمـزة التي أضفتها في العربيـة أعطت الاسمَ طاقةَ الجمع بين بداية حـروف الأبجدية وخاتمتهـا بصيغة تـوحد بين الدلالي والشعـري. وتلك هي لربمـا شطحةُ الترجمةِ، التي انتقلت بها اليدُ من حالة النقل إلى حالة الكتابة.

يختلف هذا الـديوان عن قبر ابن عربي من حيث شكل المُقطَّعَـات. فهو هنا يمزج بين الهايكو اليابـاني وبين الشطحة المعروفة لدى الصوفيين العرب. فِعْـلٌ لا يكشف عن نفسه إلا عند ممـارسة قراءة هادئة تمـاماً. فالقصائد، التي يتألف منها الديوان، عبارة عن ثلاثيات. ثلاثة أبيات لكل مُقَطَّعة. لكن هـذا العدد يتضمن الأساسيَّ، وهـو اقتصادُ الكتابـة، أيْ ما تقـوم عليه من خصـائص البنـاء، في التركيـب النحوي أو الـدلالي على السـواء، وهما معاً يتركان التجاوبات بين الهايكو والشطحة مفتوحة.

وما يحفّز على التأمُّل هو كيف أن شكلاً، تنـدمغ فيه ثقافتان شرقيّتان وشكْلان كتابيّان متبـاينان تماماً، ينبثقُ في إقامةٍ تمت بجـامعة، في مدينة (نيُـو هَايفَن) «ييل» الأميـريكيـة، التي لا هي تنتمي إلى الفضاء الشعـري الياباني ولا إلى الخلـوة الصوفية العربيـة. تجربةٌ شعريـة تدلّنا على بعض

مُسْتَغلقات العملية الشعرية. ويبقى أن الفعل الشعري، هنا، يسْعَى لبلوغ حالة «الموقف»، في لمعة خاطفة، تركيباً أم كلمةً أم حرفاً. وهو فِعْل يتطلب التقاطع مع العربية، التي حاولتُ بها الترجمةَ ونقلَ المقطّمات إليها.

ترجمة آياء تكملة لديوان قبر ابن عربي، لا من حيث أن الثاني يسير في الطريق ذاته الذي كان للأول، بل لأن آياء طريق مختلف إلى الدرجة التي لا نعرف معها كيف يمكن الانتقال من عالم شعري إلى عالم آخر. لكن هذه القطيعة الظاهرةَ تُخفي ما يبقى في الكتابة، وهو الأنثى والأنثويّ. إنه عطش الكتابة، في سفر لا قرارَ له، من التجربة إلى المعْرفة ومن المعْرفة إلى التجربة. وهذا ما يسمح لنا بتغْيير الرؤية إلى قضيةِ الشكل في القصيدة عندما تصبح التجربةُ فعلاً كتابيّاً يخترق الحدودَ، دائماً، على سفر، في العطش، والشطحة.

محمد بنيس

7 ابريل 1999

1

إِصبعُ هلدرلْينَ
على عتبةِ القرنْ
زِيزٌ يغنّي

2

في القَلْعةِ تَدقُّ الأجْراسُ
بيديه يُمسِكُ النَّاقُوسَ
والعِظامُ ليسَ لهَا ارْتِجَاجْ

3

فـي نفَـس الـمعْمـلِ
يُنـصِت إلَـى الآذانِ
وهو يَـقـتَـلعُ شَـاهِـداتِ القـبـور

4

أقـواسٌ وأعمـدةٌ مـنَ الأنـدلسِ
تـضُـمُّ معبـدَ الإخْـوانْ
حيثُ الكَنْـزُ يلْـمعْ

5

يَطِـيرُ عَلَـى زَربيّـة خَضـراءْ
ليـلاً تنفَـتِح الصّـدَفـهْ
وفِـي عُمْـق السّـمَاواتِ يطَـارِدُ اللُّـؤلؤهْ

6

الـحافلـةُ الصَّـفراء تحلّـق فوق الـنَّوارِس
فـي الزّبـد يَغطِـسُ
ويغْسـل مِنديلَـهُ الملـطّخ َبالوحـلْ

7

يجْـرِي السّـنجـبُ علَـى حِـبَالِ الـكهـرباء
إلَـى الـحُمـرة تَـمِيـــل الأوراقُ
وعَابـرةٌ مِـنْ آسيـا تـَتَـفَحَّـمْ

8

الـمَدينـة قِـذرٌ مطـبَـقٌ
يـأكُـلُ الـنّـهارُ وُصْـلةَ الغِـطاء
إصبَعـهُ المـقطـوعُ يقطـُر فِي الضّـجيـجْ

9

الصّـحْراء بِدَخِيلـة الـجَسـدْ

لا فَاكِهـةَ لاسْتِخْـلاص الـمَاءِ

والعَطَـشُ لقـلاقٌ أبـيضُ مطـوّقٌ بالسّـوادْ

10

تحـْتَ سقيـفةٍ حجـريـةٍ فِيمَا الكتـابُ مفتـوحٌ

يُـمـزّقُ حِـجَـابَ الـذاكـرهْ

مسـقطُ الرّأس يعـودُ إلـى الوجُـودْ

11

عـرائـسُ البـحـر فـوق رفْـرفـةِ الـحلْـمِ تغنّـي

زهـورَ النسيـان عَـلَى مـدى ارْتِـفاعِ الهضَـبـهْ

يُهـديـهِ البـحرُ صينيـةً من الـتّـينْ

12

بيْـــنَ الألسُـنِ بيـنَ الأجْنـاسِ
راحـلاً تائهـاً في القاراتِ
يَكتـشِفُ فِـي نفْسِـه اسْـمَ الغـروبْ

13

صـدى صـوتِـه يختـرقُ الـمحيـطَ
يحمـل الـموجُ جسـدَ الـزّنُـوجِ
ضحكتـُهُـم تنـفـخ فـي الأشـرعَـهْ

14

تنفـتح أبـوابُ الجحـيمِ
تسـدُّ الشّياطـينُ المـداخِـنَ
جـســدٌ آخَــر يسْــحَق جَسَــدَهْ

15

يَضَعُ جَسَدَهُ في القبْرِ
يأخُذه ثانيةً ويُخْرجه إلَى الحَديقَةِ
أعْصابُه مذْعُوكةٌ والندوبُ ملتهبَهْ

16

يرنُّ الرعْدُ يمتدُّ الفلَكْ
عارياً يظل الهنديُّ متربعاً تحت المطرِ
بِيَده يعْصِر برتقالةَ القبيلةْ

17

الرّحيقُ الأصْفَر يرُشُّ إزَارهُ
رائحةُ المَنِيِّ من نبات السنْطِ تنبعثُ
ثمَّ تَحْتَ خَيْمَةِ الطِّفل تنْتَشِرْ

18

تَنْعكِسُ الحجَرةُ على الزُّجاجْ
هي الأشجار مِقْيَاسٌ لِلإسْمنتِ
قدماه دَامِيتَانِ رقبتُه مُنكَسرهْ

19

على الخيط فوق المياه في السماواتِ
جسدُه يرتجُّ بين تَيّارَيْنِ
نشيدٌ زِنْجِيٌّ ينَافس الفُولاذْ

20

حارسُ جَهنَّمَ شارُونُ شبحٌ حقيرٌ خَنوعٌ
يسوق التاكسي وهو يخرقُ القانونَ
يقول ادفعُوا حسبَ ما يُمْليهِ القلبْ

21

عـند الـعَـودَةِ يَـجِـدُ الـهَـواءَ علـيلاً

فـي الليـل يـتَنـي خَـلْـوةً

تحـت ارتجـافاتِ الـمَـجاذِيـبْ

22

حـيّـاً كبُـوذَا وسريـعـاً

يـقـظـاً في تَـمامِ الـمركَـز مُـتَـمَـنِّعـاً

واقفـاً لا يَتحـركُ عنـد خطـواتِ الصـمتْ

23

مـن فَـريـُول من لُـوَار مِـنْ أراغـونْ

مـن الأرجنتيـنِ مـنَ الشيـلِـي منْ كَاليفُـورنْيَـا

ذهبيـَّـةٌ تـجْـري فِـي عُـروقِ إلاَهْ

24

يُغَيِّر الطَّائرُ المحجوبُ شَكْواهُ
زَجَلُ الحَمامِ كصَوْتِ صَاريةٍ ينْطلِقُ
فِي أَسْفَلِ الطَّيَرانِ ينْشُرُ جَناحَيْهْ

25

في السَّماءِ الرابعَة يُصارعُ الملَكْ
بعُنقِه الجريحِ يعودُ بساعدِه المحطّم
مَنَاعتُهُ شديدةٌ ضدّ العَقْرب والحاريّةْ

26

زرقةُ السماء صاحيةٌ والساعة صافيهْ
يحْمِلُ النَّسيمُ نعمةً وارتعاشاً
مُشَوَّهٌ هوَ ذا الإنْسانُ النائمُ عَلَى مَقْعَدْ

27

أنْـتُـمْ أيهـا الداخـلـونَ لا تَخْلـعُـوا نِـعالَـكُـمْ
فالـظل يكشـفُ الحـرفَ علـى الـجبهـةِ
واللُّغـزُ كالسُّـمِّ لا يـَزُولْ

28

في البـدءِ تنـطق الـصُّورةُ بالشـيءِ
ثـم السـتارةُ تـرْتخِـي في مصـرَ فـي سـُومـرَ
فـي جـَزِيرة الـعـربِ في الصيـن عنـد الأنْـكَـا

29

رفـيقُ النّسْر والأفْعـَى
مقـيـمٌ بيـن الذّئْبـة والسّـهْـم والصَّلِـيـبِ
إلـى الهـَاءِ والدَّائـرةِ ينظـرُ الألِـفْ

30

لـوّحَـتْهُ الشمـس عيْـناهُ غامِـزتَـانْ
هـي الرؤيـةُ محجـوبـةٌ خفشـاءُ تحـت القـمرِ
جبهتـهُ يشـقُّهـا جناحُ البومـة الصّمعَـاءْ

31

خُطـوتان بعد الـجسـرِ هـا هـيَ الـحدودُ
بخفـةٍ يلمـسُ المستشفيـات عنـدما الـمساء يُنتشـرُ
قبـالـةَ مِنْضـدةِ البَضَائعِ زِنْـجيـانِ وشَـبحْ

32

فـي الأفـق تُحتـضَر الشـمسُ نازفـهْ
يَــطـوفُ الـحـرّاقُ إِشَـارةُ الضـوْءِ تَـدورُ
صَـفاراتٌ مـن نيْكَـلٍ عليـها تَنعَـكسُ الـصور

33

يحترق البيتُ تنحجب السماءُ
انْسكَابُ المَاء يطفئُ النّارَ
وفي آخرِ النّهَار مِنْ رَمادهِ ينبعثْ

34

سَماءٌ منَ الحنّاء فَجرٌ يلْتَمعْ
يكلّمه النَّورسُ عن آياءْ
عَنْ آيَاءَ الإفْريقيةِ البيْضَاءِ بِأنْفها اليُونانيُّ

35

في هالةِ إعْلانات النّيونْ
يَصيح الزِّنجِيُّ تغُلُّه الشرْطَةُ
للطَّالب الأشقَرِ وجهٌ مُدَمّى

36

فِي الطَّرِيق يتقاطع ُ شخْصَانِ
يتبَادلاَنِ التَّحيةَ يطْمئنّانْ
ليسَ شيطاناً هُوَ هَذا التَّقابُلْ

37

جُريْسٌ يطوّقُ العُنقَ يدقُّ عنْد الخَطوِ
تنطفىءُ العيْنان والرجْلان تنفَتحَانِ
يرى إليه عنزةً بثَدْيين كبِيرَينْ

38

لِمَاذا يتَعرّفُ علَى الخَرِيف فِي امْرأةٍ
تتقَدّم كُلَّ يوْمٍ خَطواتٍ
لاَبِسةً بذْلةً يتغيّر لَوْنُها

39

لا يَلْتفِتُ يمنةً ولا يسْرةً
يثبّتُ وجهَه أماماً يشحذُ النظْرةَ
ثمَّ الرعبُ يسْتولِي علَى الجَسدْ

40

الطَّريقُ التي تُؤدي إليْه ضيّقةٌ
آياءُ في مرْكَزِ الدَّائرة المُشْتَعِلَةْ
وَحيداً يدخُلها مَنْ يسمَعُ الشجرة نَاطِقَةْ

41

ليسَ للغَريب منفذٌ إلَى السرِّ
يلْمسُه الثَّاني ثمَّ عنهُ ينفصلُ
والأخيرُ يخَيّم قُبالةَ المدْخلْ

42

كيفَ تَخْترق الدائرةَ الطريقُ مغْلقةٌ
والمدّعي يَرتجّ بيْن الأسَافلِ والأعَالي
فِي منتَصفِ الطريقِ يسْتولي عليْه القلَقْ

43

ليْس للمَركَز بابٌ آيَاءُ تحكُمهُ
آياءُ فِي المركَز تعنّف بالأشْكالِ
مَنِ الفالِتُ منها أكانَ حيّاً أمْ ميْتاً كَانْ

44

أربعُ حمَاماتٍ يطرْنَ وهْيَ جَامدةٌ تبقَى
يهيّجُها الحَسدُ تفَارقُ الغيابَ
تَمْنعها القُوة يعرّيها الشكُّ

45

يَـدنُو من الـحَـرَم الـممـنُـوعِ
لا أحـدَ يطـوفُ بالـمركـزِ
خلْـفَ الـحَاجـزِ يسْـمـعُ: آهْ

46

يَـقُـول لـهُ الضَّـيفُ انـسَ السِّـرَّ
لاَ شـيءَ هنـا مُغْـلـقٌ كـلُّ شـيءٍ واضـحٌ
لكَ يُـعطَـى ولاَ مِـنْ معنًـى ينْحجِـبْ

47

يَـبتسـمُ يعـانِدُ يدْخُـل كلَّ مـكانْ
يَـرى الــكُـلَّ لا شـيْءَ ينغلـقُ عليْـهِ
يفتـحُ القلـوبَ لاَ يَـرَى سِـوَى الـجُـدرانْ

48

إلَى أيْن يَصعدُ حتَّى يُدركَ أضْواءَ هَذهِ البقْعةِ
مَحْروسَةً خارج المَدينةِ
وفي الطَّريقِ يتخطَّى الحَواجِزَ

49

ألذَّهبيةُ التي يَشْربانِ مسَاءً في الحَانَاتِ
عند الإيطالي عند اليهودي عند الزِّنْجيُّ
معاً يزِنَان أمكنةَ القارَّاتْ

50

صَباحاً علَى الزَّربيَّةِ الخَضْراء نوارسٌ
أحْجارٌ بيضاءُ قُبُورٌ في صحْراءَ
تُقطّر تحْت الأمْطارِ مُؤامَرةْ

51

الشجرةُ بالدَّمْعِ تَصْنَعُ حجَرَها الأسْوَدَ
زَوْرقُ جذعٍ يُطارد التِّمسَاحَ
والطائرُ يَخْترِقُ القِناعَ الضَّاحِكْ

52

السُّحبُ بالُونات فرحٍ
قطنٌ مغْزولٌ في عين الإبرةِ
أشرعةٌ منسُوجةٌ تُهَجِّرُ القلُوبْ

53

طريقُ المنْفَى دلُّوهُ علَيهِ
يُحَاذِي تعرُّجاتِ النهْرِ
وفِي الغابةِ تحيطُ بهِ الحَيوَانَاتْ

54

الـجُـذور دُرجٌ يتعثّـر فيـهَا
يتحـرَّك السِّـنجَابُ يتحـوَّل حَـرباءْ
وفـي رغْـوةِ الـجَـداجـدِ يرْتَـمِي

55

يقْـرأُ جالِسـاً علـَى مقْـعَـدٍ من الجِلْـد الأخْضَـرِ
وفِـي رِواَقِ الـدَّيْـر تظـلُّ الـنُّجـوم بَعيـدةً
عِـنْدَ وقْـتٍ مُتـأخّـرٍ تـتحوَّلُ الحَـرْبَـاءُ إلَـى بُومَـةٍ

56

يَـخْلـقُ الـجِنْـسُ لُغَـةَ السّـلْـبِ
بَيْـن الـسُّـموِّ الغِبْطـةِ السُّقـوطِ
تَـحْـت الإفـرِيـزِ تَـبْـدأُ العَـلاقَـةُ

57

يَبْلُغ سَهْباً شاسِعاً
فيهِ بِكَلِمَات الطُّيُور المتّجهة صوْبَها العَيْنُ
يرعَى المَعْنَى الّذي يُنكرهُ الشُّيوخْ

58

مِنْ غيْر اخْتِيَارٍ ولا تفحُّصٍ ولا حَذرٍ
غريباً يظلُّ كما جَاء لأوّل مرّةٍ
في المَتَاه دَليلٌ يسْتبْطِنهُ الدّليلْ

59

بحْثهُ طَريدةٌ تخْتفِي
طَريقُهُ صَعْبٌ معْناهُ غامضٌ
العِلْمُ يُنكره آثارُهُ مُحْرِقَةْ

60

عَلَى السَّاحَة تُلْمّعُ الشَّمْسُ القَواريرَ
أرواحٌ ترافقُ وحُوشاً مدجّنةً
حديقةٌ مِنْ رمادٍ فيها يَجْرِي الوِلْدانْ

61

خُضْرةُ الأشْجَار تُؤاسِي عينيْهِ
يرْحَلُ عَنِ القوْمِ المُحَارِبِينَ
يُغَادِرُ عالَمَ الغُبارْ

62

دائِماً يذْهَبُ غَرْباً صَوْبَ الفراغِ
يشدُّ الخيْطَ الَّذي يفْتِقُ الظِّلالَ
تُهديه اللُّغة هِبَاتٍ لاَ مُنْتَظَرَةْ

63

فِـي إنْـبِـيـقِهِ تَستقْـطرُ الشـمسُ الـذهبَ
تطـفُـو الـمدينـةُ كلُّ قلعـةٍ تَـفْـقِـدُ ثِـقْـلَـها
ومَوْكِـبُ العَـاشِـقيـن يَـنْــزِلُ جَـزِيـرةَ الـعاشِـقِـينْ

64

يـرَى إلَـى الـمَدِينَـة خَارجـةً مِنْ بُخَارٍ وَرْدِيٍّ
مِنْ نَافِـذتِـه يسْـتقبلُ النَّسِيـمَ
ويقْـرأُ أرِسْــطُو شبيهـاً بـأَيِّ ناسِـكْ

65

مَوْلُـوداً تَحْتَ تأْثِيـر العَـوْدَة إلَى الآلِهَـةْ
إنَّـهُ الـمَأْخُـوذُ بعاصِـفة القَـمَرِ
رَاحِـلاً، كالبُخـارِ، فـوْقَ الأمْـواجْ

66

حَـوْل جَـمرةِ الشـمسِ يتشـرّد القَـمَـرُ
كامْـرأة تطاردُ كلْبَـها
وحَـلٌ في البقَـايا عنْـد طَـرفِ الغاباتْ

67

نردٌ ضخْـمٌ مـرمـيٌّ علَـى صِينيَّـةٍ بيـضاءَ
تُـمْسِـكُ يـدُهُ بمَـصِير الـمَعْرفَـةِ
سِـتَارةُ الـمَرْمَـر في معْبَـدِ مـنَ الشَّمْـعِ

68

كَان بـودِّه أن يراهَـا تسْقطُ فِي الظَّـلامِ
تلك التُّفـاحـةُ الحَمْـراءُ التـي تهيِّجُ الذّنُـوبَ
شُعـاعٌ أخْـضرُ خلْـفَ الغَـابـهْ

69

الرايـةُ خفّـاقـةٌ كُـرةُ الذَّهَـبِ لامِعـةٌ
فوق الـمدْخنـةِ يُـومضُ الضـوْءُ الأحْـمـرُ
وفـي أَعْـتقٍ لُغـةٍ يلـقـى بأُمنيّتِـهْ

70

يُلْبِسونـهُ مُسـوحَ الشَّيطَـانِ بالركُـوعِ
يأمـرُونـهُ يجِـيـبُ أنَـا عَـائـدٌ
إِلَـى الـنَّـارِ فالجبـلُ لـنْ يكُـونَ رمَـاداً

71

غـريبٌ متـمـرِّدٌ
حالُـه فَـارغٌ ذاكِـرتُـه واضِـحَةٌ
فـريـدٌ مـعـذبٌ حَسُـودٌ مُهْمُـومْ

72

قـديمٌ فـي السَّـماء وعلـى الأرضِ
خـدمَ الـملائكـة َخـدَمَ الإنـسَ
للبعْـض الخيْـرُ للآخـرينَ الشـرورُ

73

يتنشّـفُ بـمِـنْـشـفة سـوْداءَ
مَـنْ يُـنكِـر الشـرّ يَـجْهـلُ الخـيـرَ
في الـنَّـار يذوبُ القلـبُ اليَـدانِ تتبـدّدانْ

74

أبعـدَ مـنَ السـرّ مُـباشـرةً قبْـل الإدْراكِ
مِـنْ وراء الـحجَـاب يقـولُ لـهُ لا تكُـنْ
فَـيكُـونُ مِـنَ اللاَّوجُـودِ يـأتِـي إلَـى الوجُـودْ

75

يُحومُ مضطرباً ذرّةً في الصَّحراءِ
قلبهُ صمْغٌ مجوّفٌ غَوْرٌ
بُذورُ الإلَهيِّ لا ترسُخُ فيهِ

76

لَابِساً خِرَقاً وجْهاً مُترباً حدَقتيْنِ ناريَّتيْنْ
كنتُ اليدَ عشرةَ أصابعَ مقطُوعَةً
بِأَصَابِعِهِمَا المَقْطُوعَةِ صَارِخاً يمدُّ اليدَيْنْ

77

صِينيٌّ يقلّمُ أظافرَ امرأةٍ زِنْجِيَّةٍ
خَلْفَ الواجِهَةِ البيضَاءِ واليُونانيّةِ
كَانتْ قَدِيماً طوابعُ الْبَرِيدِ إلَى القَمَر تُبَاعْ

78

يُولَـدُ النهارُ يحيلُ أبيـضَ كُلاَ من الـورْدِيِّ والأخْـضرِ
كالصُّـورةِ التـي تُظـهِـرُ في الـمـاءِ
فجـراً لاَ كَفجرٍ في غرْفةِ سَوْدَاءْ

79

نَـاهِـضـاً جسَـدُه مـرْضُـوضٌ رقبتُـه منْـهوكَـةٌ
ظـهرُه منكَـسرٌ قنـاةُ الأعصـابِ متّـقدهْ
مُشبَـعاً بكَـلمـاتِ الـحَـلاّجِ أوْ أقـوالِ الشَّـيطانْ

80

الـجدارُ الأبيـضُ يسْتقْبِلُ أوَّلَ شُـعاعٍ
شفـرةٌ حَـادةٌ لِسـكّـينٍ بمِـقْـبـضِـهَـا الـذهبـيِّ
وبسُـرعةٍ خَاطِـفَـةٍ إلـى قسْـمينِ يتـكَسَّـرُ الرُّمـحُ

81

مفتُوناً بلَوْعةٍ هيَ صَحراءُ الرؤيةِ
كالوليدِ مُرتَجّاً بانْتعاشةِ الصّرْخة الأولى
عنْد صدْمةِ الضَّوْء

82

سِجْنٌ أو جحيمٌ فيه المُجرمُون يتكدّسُونَ
مِنْ بين الأَشقياء متضرِّعُون حُبّاً
أرواحٌ قُدسِيّة تخطفُ الأبصارْ

83

مِنْ غَير عذَابٍ ولا شَقاوةٍ يعيشُ أحْلامَهُ
تَواطؤُ الجرائمِ ينتهِكُ ما لا يُنتَهَكُ
ثم مُحَمّلاً بثِقَلِ الحَقّ يعودْ

84

قُبِضَ علَيْه سُجِنَ حُوكِمَ
صُلِبَ أُحْرِقَ رماداً منثوراً صارَ
وبِرذائلهِ يُوصِي قِمّةً شمّاء

85

يضْحَكُ قليلاً يبْكي بلا هوادهْ
جَمراتٌ في الكعبيْنْ تأكلُ المُخّ
سَمعُهُ متّقِدٌ أسْنانُه وأشفارهُ أيضاً

86

نهَرٌ مِنْ تين الهنْدِ منَ العَقاربِ الأفاعِي
فِيه يُلقَى بحُمُرِ الرغْبة بِبِغَالِهَا
مَشْدُوداً إلى الموْت يبدّلُ الجِلْدَ

87

قَطْرةٌ مِنْ تقيُّحِ هذا الجُرحِ في الشَّرْقِ
رُبّمَا تغزُو أهَالي الغرْبِ الأقصَى
مُتوحِّشُونَ مطْبَقٌ عليْهِمْ في عُبّادِ الشَّمسْ

88

جِسْرٌ يقطَعهُ بأسْرعَ منْ وَميضٍ
كَوكبُ الزُّهرةِ يُوجِّهُ ليلَهُ
ريحٌ تُؤازِرُ أسْرابَ الطيُورِ الرَّاحِلَةْ

89

كمْ سنَواتٍ بيْنَ رُكْبتيهِ وكعْبِهِ
تركعُ الأممُ لأصْنامِهَا
والإلاهُ الذي هُو يعْشَقُه ضَاحِكٌ ولاَ يَبِينْ

90

فـوْقَ كُـلِّ واحـدٍ مـنَ الـجبَـال لُـؤْلُـؤةٌ
تُضـيء نَـهـاراً طويـلاً جائِـراً خانِـقاً
بمشَـقَّـةٍ يتنـفّس بيَـدِه مُـتلهِّفـاً يضْـرِبُ علَـى الفَـخِـذْ

91

قطـرةُ الـبَـارحـةِ تُشْـعِـلُ النَّار في هـذَا النَّهـارِ
النّهارِ الذي أُغلقَ عليْـه في تَـابوتٍ مـن الـجمْـرِ
النّهـارِ الذي يقتلـعُ الأحـشاء ويفتـرسُ اللّـحْـمْ

92

قِـنـاعٌ منْ سعَــفٍ يخْـمِـي وجهَـهُ
إنَّ النهـارَ الـمتوقّـد كبْشـانِ يتنَاطـحانِ
قَـدمُـهُ بحَجـرةٍ تصطـدمُ إبهـامُـهُ يـدْمَـى

93

مَـاءٌ منْ ذَهبٍ يجْـرِي في اتّساعِ الغـديرِ
علـى الشَّـلالِ يَـسْـتبـقُ البـلورَ المتكـسّـرَ
الرنّانَ في صُـندوقٍ يغطّــي القنْطـرةْ

94

يَـغْـطِـسُ أَسْفَـلَـهُ فـي حـوْضٍ مـنَ الزعْـفـرانْ
كَصـفّايـةِ القهْـوةِ يرتشـفُ الـتـرابَ الـمبـلّـلَ
وعـنـدَ العـودةِ تـهيّـجُ قـدمـاهُ سـربَ الـحمَـامْ

95

مُـتوثّـباً كَالدّيناصُـورِ جَاهـزاً للانْقِـلابِ
قبـلَ أن يُكسّـر مِـسَـلاتٍ وقبـوراً
عَـلى مـخْـزون الألْـواحِ يقْـفِـزُ

96

خلـف الضَّـوْء سَـاعَاتٍ ركضٍ
وفِـي الـكَمـائـن رأى علِـمَ وأَخَـذَ
إنـهُ النَّهـارُ اتّسـعَ وهـا هُـوَ يَـنْضَـبِطُ

97

غَـداً بعْـدَ ألـفِ سنـةٍ سيـعودُ
سيـحْمِلُ معْطـفَ ملِـكِ النُّـورمَانيِّينَ
تَـمْجِيـداً للـحُـروفِ الأربـعــةْ

98

فِـي يوْمِ النّـهايـةِ سترْتـدِي آيَـاء عشْـرَ بـذْلاتٍ
أنّـى لكَ أنْ تحـلّ شعْـرَها تُـجـرّدهَـا
تدعُـوهَـا إلـى مُـغَـادرة الخِـبَـاءِ بقَـدَميْـنِ حَـافيـتيـنِ

99

يطـاردُ اللَّـوامعَ الوحْـشيَّـةَ اللوامـعَ الـمُبلّلـهْ
عـلَـى الأوراق يميـزُ بيــنَ آثـارِ آيـاءَ
يَـلْـمَـسُـهَا إنَّــها حـَارةٌ ومُـرتعِـشَــهْ

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتيْن، فضاءيْن، مقامين، حالين، يبتهجُ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقامَ الرؤية أو الكلام الصادرِ عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصّلَهُ التصوفُ العربي.

ولا بُد من الإشارةِ إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناهُ من الألم والعنف الموضُوعيْن في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يبطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذةَ بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشرِّ الذي يجري في الشوارع والمسالك التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسْل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يَهتمُّ ببسْط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترحَ على القارىء إجهاد ذاكرة لغتِه ليترك حاضرا فيها شُعاع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النِّفَّري، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظّر له الشيخ الأكبر ابنُ عربي.

على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابةٍ قادمةٍ من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النِّفَّري، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالاتحاد مع المطلق يقوم

النفَّري بالتضحية بكامل طاقته اللغوية. ألا يعني هذا أنه يتخلى عن كلماته من أجل أن يجعل منها هبة للذات العُليا؟

تلك هي شعرية النفَّري الذي يضاعف، في مواقفه، شخصيتَه، واهباً كتابتَه للمطلق حتى يبلغ النقصانَ الذي يُعكِّر صفْوَ اندماجه باللغة وبالعالم. إنه، إذنْ، يَمكرُ بنَا نحن قراؤه كما يمكر بنفسه، مالئاً ذلك المشهدَ (الذي يجري حواره فيه مع المُطْلق) بانفعالية وخضوع يمثّلان تأليماً للذات لا شِفاءَ منه. ينشأ الوهمُ، فعلاً، عندما نتوقفُ عن الاعتقاد بأن المُطلقَ ذاته هو المتكلمُ وليس الشاعر الناطق على لسانه بجُمل مُركَّبةٍ بمشيئته. وتنبلج الحقيقةُ عندما تدرك أبصارنا ومسامعُنا أن المطلقَ ليس سوى ذاتٍ خلقها الشاعر. وحتى يُريحَ الشاعرُ ضعفه ويطمئنَه، سواء أكانتْ حالتهُ قلقةً أم غير راضيةٍ، يُعلن عن كونه مُسَلَّحاً بما يحتاج إليه، بعد أن مر باختبار التعلُّم الذي لا يُعفِي من العِقَاب.

هكذا ارتبطتْ كلمة «المواقف» بالنفَّري، مترسِّخَةً فِي التَّصوف، ومن ثم فإني هَدَفتُ إلَى إضاءة المشهد، ولو بصوت هَامِسٍ، يستقبل الكلمةَ الألْفية التي تظل حيةً على الدَّوام.

وإذَا كنتُ، في عنوان قصيدتي، قد غيَّرتُ مقصدَ المصطلح الذي يبدو أنه أصبح مِلْكاً للنفري، فإنَّنِي لا ألتزم بطريقته

التي يسْتلهِمُها العنوان. إنّني لا أُعطي الكلمةَ للمطلق. هناك فقط كل ثلاثية (وهو شكلِ مقطّعاتِ القصيدة) تتركز في الخطّ المرسوم على امتداد تيهاني. تلك هي الوقفةُ بين حالين، بين مقامين. وقفةٌ تعلن عن السهر في سداد الموقف. واقفاً مثل انبعاث طوْطمٍ متحجّر على قِشرة الأرض.

لربما كان انبثاقُ التمثال محدَّداً باسْتعمالِ ضمير الغائب، حيث يتكلم الشاعرُ عن نفسه بواسطةِ الضمير، الذي هو في العربية دالٌّ على الغَيْبة. وهذا الاستعمال يساهمُ في أن يجعل الذاتَ شخصاً آخر، نراه بوضوح أكثرَ عندما يخرج من المرْآة، صورةً من بين الصور، ويمكن تمييزُه في موكبِ الأشباح والأشْكال.

إن الحالات، حالاتي، معيشةٌ، والمقامين تمت زيارتُهما على طريق فَضاءِ المعرفة المسكونة بالسُّلْم والراحة، وهو ما لا يمنع من أن يكون هذَا الفضاءُ مطوَّقاً وأحيانا مُختَرَقاً بالمحكوم عليهم وبالشياطين.

فالداخِلُ هجمَ عليه طقسٌ مجهولٌ وغريبٌ. وقدْ قوَّى، عبر الشق المفتوح بين الصيف والخريف، الانطباعَ الجهنميَّ بالثّقَل، وبالرطوبةِ والحرارةِ الخانقة. إنّه جوٌّ يسْتولي عليكَ، كما لو كنتَ وخْدةً شيطانيةً في طريقها إلى التجسّدُن. عِندَهَا علمتُ، وأنا أؤجّل صرامةَ وقساوة الشتاء، أن موْطنَ الهنُود الحُمر كان يتجاوب منْ غير حواجزَ مع مدار السرطان جنوبا ومعَ القطب شمالا.

ويحْدثُ أن اهْتياج النصوص يَجعل الأمكنةَ في حالة جيشان كما يُضاعفها. فقراءة دفاتر الرسّام دُولاكروا، الخاصة بزيارته للمغرب، وكذلك مذكرات غُوستاف فْلوبير بين قسنطينة وقرطاج، أعطت للفضاء الأميريكي، الذي كتبتُ فيه مواقفي، نفَساً من هواء يهب عليَّ من المغرب العربي. ثم بإيقَاع نبيلٍ وحماسٍ، غنَّتْ طواسين الحَلاج شخوصَ القيامة التي تملأُ الجحيمَ المحيط بِي. فيما تبريرات الشيطان الحاذقة، الدَّارِسة بفعل إملاء الحلاج لحجج المريد، تطبعُ الشر على قطيفة هي جلْدُ العالَم.

هو ذاك الأصل المتنوعُ للخيوط التي تنْسج مقطعاتِ هذه القصيدة. فبين النعمة التي أنْعمتْ بها عليها الولادةُ وبينَ الزمن الذي يُنهيها، تبدَّى لي أن الأقوال السابقة تحرِّف اسم الشاعر الألماني هُلدرلين الذي يبدأ بحرف الهاء، والشاعر الفارسي الحسين بن منصور الحلاّج، الذي يبدأ بحرف الحاء (وهما معا H في اللاتينية) ثم أيضا مقطع «الإشراقات» لرامْبُو الذي يحمل عنوان الهَاء (H)، وهو لغزٌ يرنُّ كأُحجيةٍ محكومٌ عليها بأنْ تبقى مِنْ دون جواب مُقْنِع.

عبد الوهاب المؤدب

باريس، في نوفمبر 1994

الفهرس

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد برلونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / فاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت . بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	ان سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت . محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت . رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت حسين محمود
السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت . فؤاد مجلي
نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت . حسن ناظم وعلي حاكم
صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت . حسن بيومي
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت · سعيد الغانمي وناصر حلاوي
بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت . مكارم الغمري
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت · محمد طارق الشرقاوي
مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت · محمود السيد علي
مختارات	غوتفريد بن	ت · خالد المعالي
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت . ماجدة العناني
الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت · إبراهيم الدسوقي شتا
الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
وسم السيف	ميجل دي ثربانتس	ت محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت · محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت . نادية جمال الدين
محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت فوزية العشماوي
مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت · سري محمد محمد عبد اللطيف
ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت . أشرف الصباغ
تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت · إبراهيم فتحي
السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس

بين مقامين

يتوقف السائرُ بين إقامتين، فضاءين، مقامين، حالين، يبتهجُ بوقفته، يهبُّ منتصباً، بين زمنين، يفتش عن اللحظة القصيرة التي يواجه فيها بكل قامته مقامَ الرؤية أو الكلام الصادرِ عن دواخله. ذلك هو مفهوم «المواقف» الذي أصّلَهُ التصوفُ العربي.

ولا بُد من الإشارةِ إلى أن لهذا المصطلح، أيضاً، مساراً طبيعياً في لغات عديدة، وخاصة ذات المرجعية المسيحية. وهو يكتسبُ معناهُ من الألم والعنف الموذُوعين في توقفات القصيدة. لكن هذا العذاب الفردي لا يبطل المتعة ولا اللذائذ المأخوذةَ بحُمياً الحياة؛ إنه لا يرمي إلى تقبُّل الشرِّ الذي يجري في الشوارع والمسالك التي تشق الأرض، ولا يدَّعي غسْل العالم ولا تطهيره. كما أنه لا يَهتمُّ ببسْط القصيدة باتجاه مدى يحد أفق الخلاص البشري. نيتي، هنا، هي أن أقترحَ على القارىء إجهاد ذاكرة لغتِه ليترك حاضرا فيها شُعاع المصطلح الصوفي، كما أبدعه المتصوف محمد بن عبد الجبار النِّفَّري، صاحب كتاب المواقف والمخاطبات ونظّر له الشيخ الأكبر ابنُ عربي.

على هذا النحو يُمكنني إخصابُ إرث كتابةٍ قادمةٍ من لغة أخرى، هي العربية، التي أرغمت النِّفَّري، في النقطة القصوى من تجربته، على مواجهة المستحيل. فبالاتحاد مع المطلق يقوم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٨٢١ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 150 - 1)



قبر ابن عربي يليه آياء

بين ابن عربى وعبد الوهاب المؤدِّب ثمانية قرون . شهادةٌ على تبدُّل الزمن (التاريخى والثقافى) وعلى تبدُّل العاشق والعَشِيقَة. لذلك فإن قبر ابن عربى إعادةُ كتابةٍ حديثة لتجربة العشق، فى زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق. لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون، عبر تجربة شعرية تنفذُ مباشرةً إلى الزمن الشعرى، الذى لا يتوقف عند الزمن التقنى، التاريخى.

يخطف الشاعر الأثر الصوفى ليُلقى به بعيداً، فى جهة مجهو[...] الذات ومن الكتابة. فى المجهول، فى دروب مُبهجة لا تُفصح دائماً عن [...] للجمال الساطع. تجربة الداخل تتوازى مع تجربة الخارج. فى الت[...] بينهما، فى الانبثاقات، فى الحُمَّى، تظل الحبيبةُ لصيقةً بقلب متولِّهٍ، لا [...] له ولاغرب. جمرةُ العاشقين تمتلكُنا مثلما تمتلكُ فضاءَ الديوان.

حرارةُ الرِّيح أو احتراقُ الأحشاء شيءٌ مما يجعلنا مُ[...] بالحروف اللانهائية للكتابة، حتى لا قدرةَ لنا على التنفُّس أو مقاو[...] يُمْحى من علامات الطريق، ونحن إلى الهلاك سائرون، [...] المنحدرات، فقراءَ، مجرّدِينَ من الثياب.